تفريغ سلسلة

شرح

# القواعد الأربع

الصادرة عن إذاعة البيان

الطبعة الأولى 1447 هـ





بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ سلسلة

# شرح القواعد الأربع

الصادرة عن إذاعة البيان

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ

مركز إنتاج الأنصار



مؤسسة صرح الخلافة







# الفهرس

# المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أما بعد:

يسرُّ إخوانُكم في مؤسسة صرح الخلافة، أن يقدموا لكم تفريغ سلسلة (شرح القواعد الأربع) الصادرة عن إذاعة البيان، مكوَّنةٌ من خمسة دروس، تمَّ مراجعتُها نحويًّا ولغويًّا، وُجِّدَتْ في السلسلةِ علاماتُ التَّنصيصِ للآياتِ والأحاديثِ كلٌّ على حسبه، ووجِّدَتْ كذلك الألوانُ للآياتِ والأحاديثِ كلٌّ على حسبه، وخُرِّجَتِ الأحاديثُ النبويَّة.

نسأل الله أن يبارك في هذا العمل.

**إخوانكم في صرح الخلافة**



# متن القواعد الأربع للإمام محمد بن عبد الوهاب

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

أسألُ اللهَ الكريمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أن يتولَّاكَ في الدُّنيا والآخرة، وأن يجعلَكَ مباركًا أينما كنتَ، وأن يجعلَكَ ممَّنْ إذا أُعطِيَ شَكَر، وإذا ابتُلِي صَبَر، وإذا أذنب استغفر؛ فإنَّ هؤلاءِ الثَّلاثَ عنوانُ السَّعادة.

اعلمْ -أرشدك اللهُ لطاعته- أنَّ الحنيفيَّةَ ملَّةَ إبراهيمَ؛ أنْ تعبدَ اللهَ مخلصًا له الدِّينَ، كما قالَ تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦]، فإذا عرفتَ أنَّ اللهَ خلقك لعبادتِه؛ فاعلمْ أنَّ العبادةَ لا تُسمَّى عبادةً إلَّا مع التَّوحيد، كما أنَّ الصَّلاةَ لا تُسمَّى صلاةً إلَّا مع الطَّهارة، فإذا دخلَ الشِّركُ في العبادةِ فَسَدَتْ كالحَدَثِ إذا دخلَ في الطَّهارة.

فإذا عرفتَ أنَّ الشِّركَ إذا خالطَ العبادةَ أفسدَهَا وأحبطَ العملَ وصارَ صاحبُهُ مِن الخالدينَ في النَّار؛ عرفتَ أنَّ أهمَّ ما عليك معرفةُ ذلك، لعلَّ اللهَ أن يخلِّصَكَ مِن هذهِ الشَّبكة، وهي الشِّركُ بالله الَّذي قالَ اللهُ فيه: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: ١١٦]؛ وذلكَ بمعرفةِ أربعِ قواعدَ ذكرها اللهُ تعالى في كتابِه.

• القاعدةُ الأولى: أنْ تعلمَ أنَّ الكفَّارَ الَّذينَ قاتلهُمْ رسولُ الله ﷺ يُقِرُّونَ بأنَّ اللهَ تعالى هو الخالِقُ المدبِّرُ، وأنَّ ذلك لم يُدْخِلْهُمْ في الإسلام، والدَّليلُ قولُهُ تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} [يونس: ٣١].

• القاعدةُ الثَّانيةُ: أنَّهُمْ يقولونَ: ما دعوناهُمْ وتوجَّهنا إليهِمْ إلَّا لطلبِ القُرْبَةِ والشَّفاعة، فدليلُ القُرْبَةِ قولُهُ تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا

لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} [الزمر: ٣].

ودليلُ الشَّفاعةِ قولُهُ تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ} [يونس: ١٨]، والشَّفاعةُ شفاعتان: شفاعةٌ منفيَّةٌ وشفاعةٌ مثبَتَةٌ، فالشَّفاعةُ المنفيَّةُ مَا كانتْ تُطلَبُ مِن غيرِ اللهِ فيما لا يقدرُ عليه إلَّا الله، والدَّليلُ قولُهُ تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [البقرة: ٢٥٤].

والشَّفاعةُ المثبَتَةُ هي: الَّتي تُطلَبُ من الله، والشَّافِعُ مُكْرَمٌ بالشَّفاعة، والمشفوعُ لَهُ مَن رَضِيَ اللهُ قولَهُ وعملَهُ بعدَ الإذن، كما قالَ تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [البقرة: ٢٥٥].

• القاعدةُ الثَّالثة: أنَّ النبيَّ ﷺ ظهرَ على أُنَاسٍ متفرِّقينَ في عباداتِهِمْ، منهُمْ مَن يعبُدُ الملائكة، ومنهُمْ مَن يعبدُ الأنبياءَ والصَّالحين، ومنهُمْ مَن يعبدُ الأحجارَ والأشجار، ومنهُمْ مَن يعبدُ الشَّمسَ والقمر، وقاتلهُمْ رسولُ الله ﷺ ولم يُفرّقْ بينهُمْ، والدَّليلُ قولُهُ تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ} [البقرة: ١٩٣].

- ودليلُ الشَّمسِ والقمرِ قولُهُ تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ} [فصلت: ٣٧].

- ودليلُ الملائكةِ قولُهُ تعالى: {وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا} [آل عمران: ٨٠].

- ودليلُ الأنبياءِ قولُهُ تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} [المائدة: ١١٦].

- ودليلُ الصَّالحينَ قولُهُ تعالى: {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ} [الإسراء: ٥٧].

- ودليلُ الأحجارِ والأشجارِ قولُهُ تعالى: {أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى} [النجم: ١٩-٢٠]، وحديثُ أبي واقدٍ اللَّيثيِّ -رضي الله عنه- قال: "خرجنا مع النَّبيِّ ﷺ إلى حُنَينٍ ونحنُ حدثاءُ عهدٍ بكفر، وللمشركينَ سِدرَةٌ يعكفونَ عندها، وينوطونَ بها أسلحتَهُمْ، يُقَالُ لها: ذاتُ أنواطٍ، فمررنا بسدرةٍ فقلنا: يا رسولَ الله، اجعلْ لنا ذاتَ أنواطٍ كما لهُمْ ذاتُ أنواطٍ"، الحديثَ.

• القاعدةُ الرَّابعة: أنَّ مشركي زمانِنَا أغلظُ شركًا مِن الأوَّلين؛ لأنَّ الأوَّلينَ يُشرِكُونَ في الرَّخاءِ ويُخلِصُونَ في الشِّدَّة، ومشركو زمانِنَا شركُهُمْ دائمٌ في الرَّخاءِ والشدَّة، والدَّليلُ قولُهُ تعالى: {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} [العنكبوت: ٦٥].





# مقدمة كل درس

مستمعينا الأعزَّاء، تستمعونَ إلى دروسٍ في شرحِ القواعدِ الأربعِ.

# الدرس الأول (مقدمة المتن)

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وبه نستعينُ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِهِ خاتمِ الأنبياءِ والمرسلين؛ وبعدَ ذلك:

أيُّها المستمعونَ أحبَّتي في الله، نبتدئ معكُمْ -إن شاء الله تعالى- بدايةً مِن هذا الدَّرسِ سلسلةً في توضيحِ مسائلِ العقيدة، نشرحُ في خلالِهَا -إن شاء الله تعالى- رسالةَ الإمامِ محمَّدِ بنِ عبدِ الوهَّاب: القواعدَ الأربعَ.

وهذه الرِّسالةُ لاختصارِها ووضوحِ عباراتِها وإيجازِ ألفاظِها ووفرةِ الفوائدِ فيها؛ كانَ ذلك سببًا لاختيارِها وانتقائِها مِن جملةِ الرَّسائلِ والكتب، الَّتي نوضِّحُ فيها -إن شاء الله تعالى- أهمَّ مسائلَ يحتاجُها العبدُ وتتعلَّقُ بها سعادتُهُ واستقامتُه وفلاحُهُ في الدُّنيا والآخرة.

لذا عليكَ -أخي المستمع- أنْ تُرْعِيَنَا سمعَك، وأن تستحضرَ قلبَك، وأن تُخلِص نيتكَ للهِ -تبارك وتعالى-، وأن تجعلَ استماعَك لهذهِ السِّلسلةِ لا قصدَ قضاءِ الوقتِ واللَّغو، ولا ما تتسلَّى به في طريقِك أو في سيَّارتِك أو في بيتِك؛ بلِ اجعلْ أعظمَ مقصدٍ لك في ذلك أنْ تتعلَّمَ أمرَ دينِك، لعسى أن يُورثَك مَا قلناهُ ومَا علَّمناهُ خشيةً لله -تبارك وتعالى- في السِّرِّ والعلانية.

فنبدأ -إن شاء الله تعالى- بقولِ الإمامِ محمَّدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ في أوَّلِ رسالته: **"بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم"**، وهذا كانَ اقتداءً مِن الإمامِ بالنبيِّ -عليه الصلاة والسلام- الَّذي كانَ مِن هديه أن يبدأ مكاتباتِهِ ومراسلاتِهِ بـ (بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم)، وهذا معروفٌ في السُّنَّة، كرسالتِهِ إلى هرقلَ[١] وإلى غيرِهِمْ.

---

[١] روى البخاري: قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: ثُمَّ دَعَا –أي هرقل– بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُرِئَ فَإِذَا فِيهِ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَاعِيَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ؛ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْأَرِيسِيِّينَ ..." الحديث.

ثمَّ قـالَ -رحمـه الله تعـالى-: "**أسـألُ اللهَ الكـريمَ ربَّ العـرشِ العظيمِ: أن يتـولَّاك في الـدُّنيا والآخـرة، وأن يجعلَـكَ مباركًا أينمـا كنتَ، وأن يجعلَـك ممَّن إذا أُعطِي شَـكَر، وإذا ابتُلِيَ صَبَر، وإذا أذنبَ استغفر؛ فإنَّ هؤلاءِ الثَّلاثَ عنوانُ السَّعادة**".

وكـذلك المشـفقُ النَّاصحُ يبـدأ رسـالتَه؛ فإنَّـه لحرصِـهِ على مَن يـدعوهم إلى التَّـوحيـدِ والعقيدةِ الصَّحيحة؛ بدأ بالدُّعاءِ لهُمْ، عسى اللهُ -تبارك وتعالى- أن يشـملَنا وإيَّاك -أخي- هذا الدُّعاءُ الجامعُ النَّافعُ، وهذا الدُّعاءُ جمع فيه الإمامُ محمَّدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ عنوانَ السَّعادةِ في الـدُّنيا والآخرة؛ فأوَّلُهُ دعـاءٌ لـك أن يتـولَّاك في الـدُّنيا والآخـرة، وذلـك حينمـا يكونُ العبـدُ مؤمنًـا تقيًّا؛ فإنَّه يكونُ وليًّا لله، كمـا قـالَ اللهُ تعـالى في كتابـه: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣)} [سورة يونس]، ومَن تولَّاهُ اللهُ تعالى في الدُّنيا والآخرة؛ فقد سعدَ وجانبَ الشَّقاءَ وسبيلَ الأشقياء.

"وأن يجعلَك مُبَارَكًا أينما كنتَ"، ومعنى مباركًا: أن يجعلَ الخيرَ فيك لازمًا وثابتًا، وأن يجعلَهُ وافـرًا وناميًا، ومعنى ذلك: أنْ تكونَ صاحبَ خيرٍ وداعيًا إلى الخيرِ حيثما كنتَ؛ فـإنَّ الخـيرَ كلَّ الخيرِ إذا صار العبـدُ وليًّا لله؛ فإنَّـهُ إنْ صـارَ العبـدُ وليًّا لله كان تقيًّا لله حيثُما كان، وإذا كانَ العبدُ تقيًّا لله حيثُما كان؛ كانَ اللهُ سَمْعَهُ الَّذي يسمعُ به، وبَصَرَهُ الَّذي يُبصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يبطشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يمشي بها، وكذلك يكونُ العبدُ مباركًا حيثما كان، فلا يسمعُ إلَّا للحقِ، ولا ينطقُ إلَّا بحقٍ، ولا تحملُهُ قَدَمَاهُ إلَّا للحقِ، ولا يُقبِلُ إلَّا على الحقِّ.

"وأن يجعلَـك ممَّن إذا أُعطِيَ شكر، وإذا ابتُلِي صبر"، وهما جناحا السَّعادةِ للعبد، وذلك لا يكونُ إلَّا للمؤمن، كما أخبر النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- حينَ قال: (عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ)[٢]، نعمْ أخي في الله، لا يكونُ هذا الأمر، ولا يُنعِمُ اللهُ على أحدٍ بهذهِ النِّعمةِ إلَّا إنْ كانَ مؤمنًا، إذا أُعطِي شكر، وإذا ابتُلي صبر، وهذا مصداقُ قولِ النبيِّ -عليه الصلاة والسلام-: (إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ

---
[٢] رواه مسلم.

خَيْرًا لَـهُ، وَإِنْ أَصَـابَتْهُ ضَـرَّاءُ، صَـبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَـهُ)[٣]، نعمْ أخي في الله، يتقلَّبُ بينَ محنـةٍ ومنحة، وبينَ ابتلاءٍ بخيرٍ وابتلاءٍ بشرٍّ، ولا مخرجَ لَهُ مِن ذلك إلَّا إذا شكر وصبر.

وإذا قصَّـر العبدُ فعليـهِ بالاسـتغفار؛ ولـذلك أعقبَ ذلـكَ الـدُّعاءَ بقولـه: "وإذا أذنبَ اسـتغفر"؛ فـإنَّ العبدَ قـد يغفلُ عنْ ذكـرِ الله، وقـد تكونُ منهُ الجهالـةُ في قولِـهِ أو فعلِـه، وقـد يقـعُ منـهُ الخطـأ ولا بـدَّ، فـذلك حـالُ بـني آدم، جعلنـا اللهُ وإيَّـاكُمْ مِنَ المسـتغفرين، وألهمَنـا اللهُ وإيَّـاكُمُ الاسـتغفارَ صبـاحَ مسـاءَ، وليسَ أحـدٌ منَّـا غنيًّـا عنِ الاسـتغفار؛ فـإنَّ رسـولكُمْ ﷺ قال -كما في الحديثِ الصَّحيح-: (يا أيُّها النَّاسُ استغفروا؛ فإنِّي أستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه في اليومِ مئةَ مرَّة)[٤]، فحريٌّ بالعبدِ أن يُكثِرَ مِن استغفارِ الله -تبارك وتعالى-، وألَّا يغفلَ ساعةً عنِ الرُّجوعِ إلى اللهِ والتَّوبةِ إليهِ واستغفارِه.

ثمَّ قال: "فإنَّ هؤلاءِ الثَّلاثَ عنوانُ السَّعادة"، أي: أنَّك -أيُّها العبد- إذا كنتَ ممَّن إذا أُعطِي شـكر، وإذا ابتُلِيَ صـبر، وإذا أذنبَ اسـتغفر؛ فـإنَّ ذلـك هـو سبيلُ سـعادتِك في الـدُّنيا والآخـرة؛ فـإنَّ العبـدَ إذا كان دأبـه ذلـك، وإذا كانتْ أحوالُـه بينَ شـكرٍ وصـبرٍ واستغفار؛ فإنَّه مِن أسعدِ النَّاس في هذهِ الدُّنيا؛ لأنَّ جميعَ أحوالِهِ في طاعة، ولا يكونُ العبدُ كمن قال اللهُ تعالى عنهم: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ} [سورة الحج: ١١].

فـإنَّ السَّـعيدَ هـو الَّـذي لا يعبـدُ اللهَ كـذاك الَّـذي يعبـدُهُ على حـرف، وإنَّمـا السَّـعيدُ الَّذي يعبدُ اللهَ على جميعِ أحوالِه؛ فإنَّهُ في طاعةٍ بشكرِهِ لله إذا كان في سرَّاء، وفي طاعةٍ بصبرِهِ على البلاء، وفي طاعـةٍ إذا اسـتغفر اللهَ -تبـارك وتعـالى- ممَّـا بـدر منـه مِن قـولٍ وعمل.

ثمَّ قـالَ الإمـامُ محمَّـدُ بنُ عبـدِ الوهَّـابِ -رحمـه الله تعـالى-: **"اعلمْ أرشـدَكَ اللهُ لطاعتِه"**، وهذا دعاءٌ كذلك مِن الشَّيخِ أن يوفِّقَ العبدَ لطاعتِه، وأن يُرشِدَهُ لعبادتِه،

[٣] تكملة الحديث السابق.

[٤] رواه أحمد ومسلم من طريق الأغر بن يسار – رضي الله عنه– ورواه الطبراني والنسائي من طريق آخر، بألفاظ متقاربة. قال ابن حجر في الأمالي المطلقة: حديث صحيح.

**"أنَّ الحنيفيَّة ملةَ إبراهيمَ"**، والحنيفيَّةُ -أخي في الله- نُسِبَتْ إلى الخليلِ إبراهيمَ -عليه السلام- مِنَ الحنف، وهي الميلُ، والميلُ عن ماذا؟ الميلُ عنِ الشِّركِ وأهله.

فإنَّ إبراهيمَ الخليلَ لَمَّا خالف قومَهُ وتميَّز عنهُمْ وهاجرهُمْ، وأعلنَ البراءةَ منهُمْ؛ جعلهُ اللهُ -تبارك وتعالى- إمامًا، ونَسَبَ المِلَّةَ الحنيفيَّةَ إليه تشريفًا له وتكريمًا، فالخليلُ إبراهيمُ لَمَّا أطاع الله -تبارك وتعالى- ولم يُبَالِ بحالِ أكثرِ النَّاسِ وحالِ قومِهِ ومَا هُمْ عليه منَ الدِّينِ الباطل؛ جعلهُ اللهُ -تبارك وتعالى- إمامًا؛ قال اللهُ تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا} [سورة النساء: ١٢٥]، أي: ومَن أحسنُ سبيلًا، ومَن أحسنُ منهجًا ممَّن يتَّبعُ ملَّةَ إبراهيم؟!

وهذا إخبارٌ مِن الله -تبارك وتعالى- أنَّ أعظمَ السَّبيلِ وأفضلَها هي السَّبيلُ الَّتي سار عليها أبو الأنبياءِ -عليه السلام-، وهذه السَّبيلُ -أيها المستمع- أن تعبدَ اللهَ مُخلِصًا له الدِّين، كما قالَ الإمام: **"أنْ تعبدَ اللهَ مُخلِصًا له الدِّين"**، أي: لا تجعلَ مع الله -تبارك وتعالى- شريكًا في طاعتِهِ وعبادتِه، كما أنَّك علمتَ أنَّه لا شريكَ لله -تبارك وتعالى- في خلقِهِ ومُلْكِه.

ثمَّ ذكر الدَّليلَ على ذلكَ حتَّى تعلموا -أيها الكرام- أنَّه مَا مِن مسألةٍ يقرِّرُها أهلُ الحقِّ إلَّا ويعقبونَ ذكرَها بالدَّليلِ مِن الكتابِ والسُّنَّة، فنحنُ أمَّةٌ نتعبَّدُ للهِ بما أوحاهُ إلى رسولِهِ ﷺ؛ لذا فإنَّه ينبغي أن نتعرَّفَ على مسائلِ الدِّينِ بأدلَّتها، فلمَّا عرَّف الملَّة الحنيفيَّة -وهي ملَّةُ إبراهيمَ- بقولِه: "أنْ تعبدَ اللهَ مُخلِصًا له الدِّين"؛ دلَّل على ذلك بقولِ الله تعالى: **"{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)} [سورة الذاريات]"**، أي: مَا مِن غايةٍ أوجد اللهُ -تبارك وتعالى- لها الخلقَ وبرأ لها النَّسماتِ؛ إلَّا لإفرادِهِ وعبادتِهِ -جل جلاله-، وهو الأحقُّ بذلك لأنَّه الخالقُ -جل في علاه-، فلمَّا استحقَّ اللهُ -تبارك وتعالى- أو لَمَّا تفرَّد اللهُ -تبارك وتعالى- بالخلق؛ كانَ وحدَهُ -جلَّ في علاه- المستحقَّ للعبادة؛ {ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ} [سورة الحج: ٦٢].

فإذا عرفتَ أنَّ الله خلقَك لعبادتِه، وهنا يرتِّبُ المقدِّماتِ حتَّى ينتقلَ بك إلى مسائلَ أخرى ينبني بعضُها على بعض، ومعنى كلامه: إذا علمتَ -أيها السَّامع- أنَّ الحنيفيَّةَ ملَّةَ إبراهيمَ هو توحيدُ الله -تبارك وتعالى- وإفرادُهُ بالعبادة، وذكر لك الدَّليلَ مِن كتابِ اللهِ على ذلك؛ ثمَّ قال: **"فاعلمْ أنَّ العبادةَ لا تُسمَّى عبادةً إلَّا مع التَّوحيد"**، أي: أنَّك -أيُّها العبد- لا تصحُّ منك عبادةٌ، ولا يقبلُ اللهُ منك عملًا، ولا يُجْزِيكَ اللهُ -تبارك وتعالى- على قولٍ قُلْتَهُ أو سعيٍ سعيتَه؛ إلَّا إذا كانَ ذلك منبنيًا على التَّوحيد.

وهذا مِن أعظمِ ما يُبيِّنُ عظيمَ أمرِ التَّوحيد -أيها المستمع-، فلك أن تتخيَّلَ ولك أن تتصوَّرَ اجتهادَ العبدِ في أنْ يصلَ إلى اللهِ وأن يعبدَهُ وأن يطلبَ منه الثَّوابَ، ويَرجُوَ منه دخولَ الجنَّة، ثمَّ يكون العملُ بعدها هباءً منثورًا؛ لأنَّهُ لم ينبنِ على التَّوحيد، فاحذرْ -أخي الفاضل- أنْ يشوبَ توحيدَك ناقضٌ أو ناقصٌ يُفسِدُ عليك العبادةَ الَّتي اجتهدتَّ لتتقرَّب بها إلى الله -تبارك وتعالى-.

ثمَّ أراد أن يُبيِّنَ ذلك بمثالٍ فقال: **"كما أنَّ الصَّلاةَ لا تُسمَّى صلاةً إلَّا مع الطَّهارة"**، أي: أنَّه كما لا تُسمَّى الصَّلاةُ صلاةً إلَّا إذا تطهَّرتَ لها، وكذلك العبادةُ لا تصحُّ ولا تُقبَلُ إلَّا إذا كانتْ مع توحيدٍ لله -تبارك وتعالى- في العمل.

ثمَّ قال -رحمه الله-: **"فإذا دخلَ الشِّركُ في العبادةِ فَسَدَتْ** -ومعنى فَسَدَتْ أي: بَطُلَتْ- **كالحدثِ إذا دخلَ في الطَّهارة"**، وهذا مثالٌ يُوضِّحُ لك حكمَ الواقعِ في الشِّرك، وحالَ مَن طرأ عليه الشِّركُ في عملِه؛ فإنَّ حكمَهُ عند الله -تبارك وتعالى- حبوطُ أعمالِهِ وبطلانُهَا، كما أنَّ العبدَ إذا صلَّى الصَّلاةَ واجتهدَ فيها ولم يُقِمْهَا على طهارةٍ صحيحة؛ فإنَّ الله -تبارك وتعالى- لا يقبلُها؛ لقوله -عليه الصلاة والسلام- كما في الصَّحيحين: (لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ)، وكذلك العبدُ لا يقبلُ اللهُ -تبارك وتعالى- منهُ عملًا مِنَ الأعمالِ إلَّا إذا وحَّدهُ وأفردَهُ بالعبادة، وأقرَّ له بذلك -جل في علاه-.

ولك أن تتخيَّلَ عظيمَ خسرانِ العبدِ إذا اجتهدَ بقيامِ اللَّيل، واجتهد في نوافلِ الصَّلوات، ثمَّ يتبيَّنُ له أنَّهُ ما توضَّأ أو مَا حرصَ على توفُّرِ هذا الشَّرط -أي: شرط الطَّهارة-؛ كيف يكونُ خسرانُهُ بعد ذلك الاجتهاد؟! كذلك أيُّها العبدُ أخي السَّامعُ تخيَّلْ عظيمَ خسرانِ العبدِ إذا اجتهدَ في عبادةِ الله، ولم يكنْ مبناها على التَّوحيد.

ثمَّ قال: "**فإذا عرفتَ أنَّ الشِّركَ إذا خالطَ العبادةَ أفسدها، وأحبط العملَ، وصار صاحبُهُ مِن الخالدينَ في النَّار**"، وذلك أيضًا مِن الأحكامِ المترتِّبة على وقوعِ العبدِ في الشِّرك؛ أن يَخلُدَ في النَّار -والعياذ بالله-؛ قال اللهُ تعالى: {إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢)} [سورة المائدة: ٧٢].

نعمْ، وذلك الخسرانُ المبينُ والضَّلالُ البعيدُ أن يموتَ العبدُ وهو يشركُ بالله شيئًا، لا يدخلُ الجنَّة، ولا يقبلُ اللهُ منه عملًا، بل مأواهُ النَّارُ خالدًا فيها، والجنَّةُ عليه حرامٌ، أعاذنا اللهُ -تبارك وتعالى- وإيَّاكُمْ مِن حالِ أهلِ النَّار.

فإذا عرفتَ -أخي السامع- عظيمَ أمرِ التَّوحيد، وأنَّ العبادةَ لا تصحُّ إلا إذا انْبَنَتْ على ذلك، كما أنَّ الصَّلاةَ لا تُقبَلُ ولا تصحُّ إلَّا إذا جاءَ بها العبدُ متوضِّئًا متطهِّرًا رافعًا للحدثِ الأكبرِ والأصغر؛ فكذلك أيُّها العبدُ عليك بالحرصِ على عبادتك، وذلك بتنقيةِ توحيدِكَ وتخليصِهِ من شوائبِ الشِّرك، فكما يحرصُ المرءُ أن يرفعَ عنْ صلاتِهِ موانعَها ونواقضَها؛ فكذلكَ ينبغي عليه أن يكونَ أعظمَ حرصًا في العبادة، وفي جميعِ عملٍ من الأعمال، ينبغي عليه أن يكونَ حريصًا على تنقيةِ توحيدِهِ مِن الشَّوائب، وتخليصِ عملِهِ من الشِّركِ كبيرِهِ وصغيرِه.

ثمَّ قال -رحمه الله تعالى-: "**عرفتَ أنَّ أهمَّ مَا عليكَ معرفةُ ذلك**"، أي: إذا تبيَّن لكَ ما ذكرتُ مِن المسائلِ المهمَّة؛ تبيَّن لك أنَّ أعظمَ مَا تحرصُ عليه وتحفظُهُ وتقيمُهُ وتتعلَّمُهُ وتتعلَّمُ مسائلَهُ ومَا يتعلَّقُ به؛ هو أعظمُ ما عليك أن تسعى إليه، "**لعلَّ اللهَ أن يُخَلِّصَكَ مِن هذهِ الشَّبكة، وهي الشِّركُ بالله**".

نعمْ، وهنا وقفةٌ: لماذا الإمامُ محمَّدُ بنُ عبدِ الوهَّاب -عليه رحمة الله- مثَّل للشِّركِ بمَثَلِ الشَّبكة؟ إمَّا أن يكونَ مقصودُهُ بذلك مَا قالَهُ اللهُ -تبارك وتعالى- في كتابه: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ} [سورة العنكبوت: ٤١]، أي: لعلَّهُ أراد بالشَّبكةِ شبكةَ العنكبوتِ وبيتَه؛ لأنَّ الشِّركَ لهوانِهِ وعدمِ نفعِهِ للعبد؛ فإنَّه أوهنُ مِن بيتِ العنكبوت.

أو أن يكونَ مقصودُهُ ومرادُهُ بالشَّبكةِ هي المِصْيَدَةَ الَّتي ينصبُها الشَّيطانُ للعبد، فيوقعُهُ فيما يوجبُ خسرانَهُ في الدُّنيا والآخرة.

وعلى جميعِ الأحوال؛ فإنَّ الضَّربَ بهذا المثلِ على التَّوحيدِ والشِّرك؛ فيهِ علامةٌ على فقهِ الإمامِ -رحمه الله تعالى-، فعلى العبدِ أن يَخلُصَ مِن هذه الشَّبكة؛ وذلك بتحقيقِهِ التَّوحيدَ ومجانبتِهِ الشِّركَ ومَدَاخِلَ الشَّيطان.

ثمَّ قالَ عنْ هذهِ الشَّبكة: **"وهي الشِّركُ باللهِ الَّذي قال اللهُ فيه: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ} [سورة النساء: ٤٨]"**، ثمَّ قالَ -رحمه الله تعالى-: **"وذلك بمعرفةِ أربعِ قواعدَ ذكرها اللهُ -تبارك وتعالى- في كتابه"**.

إذًا هذه مقدِّمةٌ أراد أن يستهلَّ بها حتَّى يعرضَ عليك هذهِ القواعدَ الأربعَ، بيَّن لك في هذهِ المقدِّمةِ عظيمَ أمرِ التَّوحيدِ وتأكُّدَ طلبِهِ والسَّعيِ لتحقيقِه؛ طلبًا للسَّلامةِ وللنَّجاةِ في الدُّنيا والآخرة.

هذا ما تيسَّر إيرادُه، وتهيَّأ إعدادُه، وأعاننا اللهُ وإيَّاكم على إلقائِهِ وبثِّه، أسألُ اللهَ -تبارك وتعالى- لنا ولكُمْ أن يجعلَهُ خالصًا لوجهِهِ الكريم، ونافعًا لكلِّ سامع، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

# الدرس الثاني (القاعدة الأولى)

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وبه نستعينُ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خاتمِ الأنبياءِ والمرسلين، نبيّنا محمَّدٍ وعلى آله وأصحابِهِ وعلى مَنِ اهتدى بهديِهِ واستنَّ بسنَّته إلى يومِ الدِّين؛ وبعد ذلك:

السَّلامُ عليكُمْ ورحمةُ الله، إخواني المستمعين، ودرسُنا هذا هو الدَّرسُ الثَّاني، نواصلُ فيه شرحَ القواعدِ الأربعِ للإمامِ محمدِ بنِ عبدِ الوهَّاب -عليه رحمة الله تعالى-، وكنَّا في السَّابقِ قد شرحنا مقدِّمةَ الرِّسالة، أوضحنا المسائلَ المستفادةَ منها، ودرسُنا في هذا التَّسجيلِ -إن شاء الله تعالى- هو في شرحِ القاعدةِ الأولى مِن قواعدِ هذهِ الرِّسالة.

فنبدأ شرحَنا بذكرِ القاعدةِ جملة، قال -رحمه الله تعالى-: **"القاعدةُ الأولى: أنْ تعلمَ أنَّ الكفَّارَ الَّذين قاتلهُمْ رسولُ الله ﷺ يقرُّونَ بأنَّ اللهَ تعالى هو الخالقُ المدبِّر، وأنَّ ذلك لم يُدخِلْهُمْ في الإسلام، والدَّليلُ قولُه تعالى: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١)} [سورة يونس]"**.

إذًا فهذهِ القاعدةُ نستفيدُ منها مسائلَ عظيمة، وناسب أن يذكرَ الشَّيخُ -رحمه الله تعالى- هذهِ القاعدةَ كأولى القواعدِ في رسالته؛ لِمَا تضمَّنتْهُ مِن الأصولِ العظامِ في دينِ الإسلام، وهذهِ القاعدةُ أراد أن يقرِّرَ فيها الشَّيخُ -رحمه الله تعالى- حقيقةَ التَّوحيدِ الَّذي دعتْ إليهِ الرُّسلُ -صلواتُ ربي وسلامُهُ عليهم-؛ ذلك أنَّ الرُّسلَ دعتْ إلى عبادةِ اللهِ وحدَهُ؛ فالنبيُّ ﷺ -كما هو معلوم- قاتلَ أقوامًا يصرفونَ العبادةَ لغيرِ الله، ويتَّخذونَ أولياءَ من دونِهِ سبحانه، فمنهُمْ مَن يعبدُ الشَّجر، ومنهُمْ مَن يعبدُ الأصنام، ومنهُمْ مَن يعبدُ الوثنَ والحجر، وغير ذلك مِن المشاربِ والمللِ الَّتي كانَ عليها أهلُ الجاهليَّة.

فهؤلاءِ كثيرٌ منهُمْ أخبرنا اللهُ -تبارك وتعالى- في كتابِهِ أنَّهم مع عبادتِهم لغيرِ اللهِ وتعظيمِهِمْ سواه؛ يقرُّونَ أنَّ الله -تبارك وتعالى- هو مَن خلقهُمْ، وهو مَن دبَّر أمورَهُمْ، وهو الَّذي رزقهُمْ، وهو الَّذي أحياهُمْ، وهو الَّذي يميتُهُمْ.

قال اللهُ -تبارك وتعالى- عنهم: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ} [سورة الروم: ٤٠]، وقال -جل جلاله-: {لَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [سورة الزخرف: ٨٧]، وقال -جل في علاه-: {قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ (٨٩)} [سورة المؤمنون].

أي: أينَ تُصرَفُون؟! فإذا علمتُمْ أنَّ اللهَ تعالى خلقكُمْ؛ فأينَ تذهبون؟! وإلى مَن تلجأون؟! إلى غيره؟! إلى الأصنام؟! إلى الأوثان؟! إلى مَن ليسَ بأيديهم نفعٌ ولا ضرٌّ ولا موتٌ ولا حياةٌ ولا نشور؟!

فهؤلاءِ القومُ أقرُّوا لله -تبارك وتعالى- بما ذكرتُهُ لك أيُّها المستمع، أقرُّوا للهِ بالخلق، وأقرُّوا له بالرِّزق، وأقرُّوا له بالتَّدبير، وأقرُّوا له بصفاتِ ربوبيَّته -جل في علاه-، أقرُّوا بأنَّهُ الصَّاحب، أقرُّوا بأنَّهُ المالك، أقرُّوا بأنَّه -جل في علاه- خالقُ كلِّ شيء، وموجدُ الخلائق، وبديعُ السَّماواتِ والأرض؛ إلَّا أنهم مع ذلكَ كفَّرهُمْ رسولُ الله ﷺ وقاتلهُمْ، أوضحَ بقتالِهِ إيَّاهُمْ -وحالتُهُمْ ما ذكرتُ لك- أنَّه لم ينفعْهُمْ إقرارُهُمْ ذاك، ولم تنفعْهُمْ شهادتُهُم تلك؛ حتَّى يَدخُلوا الإسلام، فتُعصَمَ لهم دماؤهم، وتَسلَمَ أموالُهم لهم.

قال ﷺ -كما في الحديثِ الصَّحيح-: (أُمِرْتُ أَنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكاةَ، فَإِذا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِماءَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلامِ، وَحِسابُهُمْ عَلَى اللَّهِ -عز وجل-)[٥].

---

[٥] متفق عليه.

إذا تبيَّن لكَ ذلك أيُّها السَّامعُ أخي في الله؛ فاعلمْ أنَّ التَّوحيدَ الَّذي ادَّعتْهُ طوائفُ الجاهليَّة، وأنَّ انتسابَهُمْ إلى ملَّةِ إبراهيمَ افتراءٌ وكذبٌ؛ فملَّةُ إبراهيمَ هي الملَّةُ الحنيفيَّةُ -كما ذكرنا لك في الدَّرسِ السَّابق-، وهي الملَّةُ التي دعا إليها رسولُ الله ﷺ؛ فإنَّ نبيَّنا -عليه الصلاة والسلام- لمَّا أُرسِلَ إلى هؤلاءِ القومِ مِن مشركينَ ويهودَ ونصارى؛ كانَ كلٌّ منهُمْ يزعمُ أنَّه على ملَّةِ إبراهيم؛ فقالَ اللهُ تعالى: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧)} [سورة آل عمران]؛ فإنَّ إبراهيمَ ونبيَّنا -عليهما الصلاة والسلام- بريئانِ ممَّا انتسبَ إليهِ وممَّا ادَّعاهُ أولئكَ المشركون.

فإذا تبيَّن لك ذلك أخي في الله؛ فاعلمْ أنَّ الشَّيطانَ لا ينقطعُ كيدُه، ولا يَفتَأُ يُضِلُّ النَّاسَ حتَّى يُوقِعَهم في الشِّرك، تعدَّدتْ سُبُلُه، واختلفتْ شِبَاكُه، وتنوَّعتْ أساليبُه، ولكنَّ المقصدَ عندَهُ واحدٌ في ذلك، وهو أن يُوقِعَ النَّاسَ في عبادةِ غيرِ الله وتعظيمِهِمْ سواه.

فلا تقلْ -أخي في الله- ولا يقعْ في نفسِك مَا قذفَهُ الشَّيطانُ في أذهانِ كثيرٍ مِن الجهلةِ في زمانِنا مِن المنتسبينَ للإسلام؛ إذْ قالوا في أقوامٍ صرفوا الحكمَ لغيرِ الله، وفي أقوامٍ نازعوا اللهَ -تبارك وتعالى- في التَّشريعِ والتَّحليلِ والتَّحريم، أقوامٍ ادَّعَوا لأنفسِهِمْ حقَّ المنعِ والحظرِ والإباحةِ والتَّحليل، {قاتلهُمُ اللهُ أنَّى يُؤفَكُونَ}؛ يرتابونَ في مثلِ أولئك، ولا يعدُّونَهُمْ مِن المشركين؛ زعمًا منهُمْ أنَّ الشِّركَ الَّذي نبذَهُ رسولُ الله ﷺ والَّذي قاتلَ رسولُ اللهِ ﷺ أهلَه؛ هو شركُ عبادةِ القبور، وشركُ السُّجودِ للأصنام، وشركُ الذَّبحِ للأوثانِ والأضرحةِ والموتى، وما علم المسكينُ وما علم الجاهلُ بقدرِ ربِّ العالمين؛ أنَّ الشِّركَ أوسعُ دائرةً وأعظمُ خطرًا؛ فإنَّ الشِّركَ وإنْ كانَ في زمنِ النبيِّ ﷺ أكثرُهُ في عبادةِ القبورِ والأضرحةِ والأصنام؛ إلَّا أنَّه في زمانِنا على غيرِ تلك الصُّورة، وعلى غيرِ ذلك النَّوع؛ فإنَّ الشَّيطانَ يَدخُلُ للنَّاسِ من البابِ الَّذي يُفتَنُونَ به، ويضلُّهم مِنَ الجانبِ الَّذي يميلونَ إليه، فيزيِّنُ لهم أعمالَهُم، فيتَّبعونَهُ في ذلك؛ حتَّى ينسلخوا مِن دينهم، ويقعوا في عبادةِ غيرِ الله -تبارك وتعالى-.

أخي في الله، ينبغي أنْ نعلمَ أنَّ حقيقةَ التَّوحيدِ الَّتي دعتْ إليها الرُّسل -صلواتُ ربي وسلامه عليهم- هو عبادةُ اللهِ وحدَهُ، والكفرُ بكلِّ معبودٍ سواه، ويشملُ ذلك كلَّ طاغوتٍ مِن معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاع، فكما أنَّ الرُّسلَ بيَّنتِ التَّوحيد، وقاتلتْ مَن أشرك مع الله -تبارك وتعالى- في عبادته؛ فكذلك الرُّسلُ بيَّنتْ أنَّ الشِّركَ مِنْهُ صَرْفُ الحكمِ لغيرِ الله -جل في علاه-، فلا تظنَّنَّ -أخي- أنَّ مَن صرفَ حقَّ اللهِ -تبارك وتعالى- لغيرِهِ مِن الحكمِ والتَّشريع سليمٌ مِن هذا الحكمِ الَّذي يقعُ على المشركينَ الأوَّلين.

فإذا تبيَّن لك ذلك -أخي في الله-؛ فاعلمْ أنَّ الله -تبارك وتعالى- أوضحَ لعبادِهِ في كتابِهِ مسألةً مهمَّةً وقاعدةً جليلةً أَفْحَمَ بها المشركين، وقَطَعَ دابرَهم، وأبطلَ كيدَهُم؛ وهي: أنَّ مَن كانَ قادرًا على إثباتِ خالقٍ غيرِ الله؛ فليعبدْهُ وليَصْرِفْ إليه الدُّعاءَ وَلْيَلْجَأْ إليه، وليُشْرِكْهُ مع الله -تبارك وتعالى-، وأنَّى له أنْ يأتيَ بذلك؟! فإنَّ الناسَ سلَّمتْ طوعًا وكرهًا أنَّ الله -تبارك وتعالى- هو الخالقُ وحده، وهو الرَّازقُ وحده، وهو المحيي وحده، وهو المميتُ وحده، فلمَّا أقرُّوا بذلك؛ قالَ اللهُ -تبارك وتعالى- كما في الآيةِ الَّتي ذكرها المصنِّفُ -رحمه الله تعالى-: {فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١)} [سورة يونس] أي: إذا علمتُمْ أنَّ الله -تبارك وتعالى- بيدِهِ الخلقُ والرِّزقُ والتَّدبيرُ والإماتةُ والإحياءُ؛ فلماذا تعبدونَ غيره؟! وهل يستحقُّ غيرُ اللهِ -تبارك وتعالى- أن يُعبَد؟! وهل يستحقُّ غيرُ اللهِ -جل جلاله- أن يُعظَّمَ وأن يُدعَى وأن يُلْجَأَ إليه وأن يُطلَبَ منهُ ضرٌّ أو نفع؟! تعالى اللهُ -تبارك وتعالى- عمَّا يقولونَ ويظنُّونَ فيه.

فلمَّا عجز المشركونَ عنِ الإجابةِ وعنِ المواجهة؛ كان ذلك حقًّا مِن الله -تبارك وتعالى- وجب التَّسليمُ إليه؛ قال اللهُ تعالى: {ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٦٢)} [سورة الحج].

ومِن جملةِ المسائلِ الَّتي نستفيدُ منها في هذهِ القاعدة؛ أنَّ تقسيمَ التَّوحيدِ إلى توحيدِ الرُّبوبيَّةِ وتوحيدِ الألوهيَّةِ وتوحيدِ الأسماءِ والصِّفاتِ تقسيمٌ مشروع، وتقسيمٌ يبيِّنُ لنا حقيقةَ التَّوحيد؛ فإنَّه لمَّا ظهر قومٌ في زماننا على دأبِ مَن سبقهُمْ مِن المشركين،

يَقصُرونَ التَّوحيدَ على الخلق، فيقولون: التَّوحيدُ معناهُ: لا خالقَ إلَّا الله، أو يقولون: التَّوحيدُ معناهُ: لا رازقَ إلَّا الله، ويقولُ بعضُهم: التَّوحيدُ معناهُ: لا ربَّ إلَّا الله، يقصدونَ بذلك أنَّك إذا قلتَ ما قالَهُ المشركونَ الأوَّلونَ؛ لكانَ يكفيك ذلك أن تَدخُلَ الإسلام! وإنَّ هذا مصادمةٌ صريحةٌ لما قرَّرناهُ لك، وذكرناهُ مِن الأدلَّة في كتابِ الله -تبارك وتعالى- مِن أنَّ المرءَ لا ينفعُهُ إقرارُهُ بربوبيَّةِ الله إذا لم يَصرِفِ العبادةَ لَهُ -جل في علاه- وحدَه.

فإنَّ هؤلاءِ لمَّا قَصَرُوا التَّوحيدَ على الخلقِ والرِّزقِ والتَّدبير، وجعلوا التَّوحيدَ فيما يتعلَّقُ بالأمورِ العلميَّة، وأقصوا ذلكَ العمل، وجعلوا المشركينَ موحِّدينَ ما داموا يقرُّونَ لله -تبارك وتعالى- بالخلقِ والرِّزق؛ فإنَّه لا شكَّ أنَّ هذا مِن أعظمِ الباطلِ والافتراء، فلمَّا خرجوا بهذا القولِ المبتدعِ الشِّركي؛ أوضحَ أهلُ السُّنَّة أنَّ التَّوحيدَ وإنْ كانَ يتضمَّنُ الإقرارَ لله وحدَهُ -تبارك وتعالى- بالخلقِ والرِّزقِ والتَّدبيرِ وغيرِ ذلك مِن أفعالِ الرُّبوبيَّةِ وصفاتِهَا؛ إلَّا أنَّهُ لا يكفي وحدَه، بل ينبغي أن يأتيَ العبدُ بجزءٍ عظيمٍ مِن أجزاءِ التَّوحيد، الَّذي هو لازمٌ للأوَّل، ألا وهو أن نُفرِدَ الله -تبارك وتعالى- بالعبادة.

فلا يكفيك -أيُّها المرء- أنْ تقولَ: إنَّ الله -تبارك وتعالى- هو الخالقُ ثمَّ لا تعمل، وأنْ تقولَ: إنَّ الله -تبارك وتعالى- هو المدبِّرُ ثمَّ لا تعمل، أو أنْ تقولَ: إنَّ الله -تبارك وتعالى- هو المحيي وهو المميت، ثمَّ لا يكونَ منك توحيدٌ عمليٌّ: تُفرِدُ اللهَ -تبارك وتعالى- بالقصد، وتُفْرِدُهُ بالعبادة، ولا تجعلُ له شريكًا -جل في علاه- في الأعمالِ والأقوال.

فإذا علمتَ ذلك -أخي في الله-؛ علمتَ أنَّ الشِّركَ عظيمٌ خطرُه، وعلمتَ اجتهادَ الشَّيطانِ وجندِهِ في إغواءِ بني آدم، وفي إيقاعِهِمْ في عبادةِ غيرِ الله وتعظيمِهِمْ غيرَهُ، أمَّا في زماننا؛ فظهرتْ أقوامٌ مِن المشركينَ كدأبِ المشركينَ الأوَّلين، وأوقعهُمُ الشَّيطانُ في عبادةِ غيرِ الله -تبارك وتعالى- بتزيينِهِ لهُمْ سوءَ أعمالِهِمْ لمَّا قالوا بقولِ اليهودِ والنَّصارى، واتَّبعوا اللِّيبراليِّينَ والعلمانيِّينَ وغيرَهُمْ مِن أصحابِ المذاهبِ الكفريَّةِ الضَّالَّة؛ إذْ قالوا: إنَّ العبدَ حرٌّ في شخصِهِ وفي حكمِهِ وفي اختيارِه؛ حتَّى ألَّهُوهُ وعظَّموه، وأتبعوا ذلك بالقولِ بسيادةِ الشَّعبِ والحكمِ للشَّعبِ ورئاسةِ الشَّعب، وغيرِ ذلك مِن الأقوالِ الَّتي





يجعلــونَ فيهــا الشَّــعبَ نــدًّا لله -جــل في علاه-، فــإنَّهُمْ وإنْ كانوا لم يسجدوا لهم، ولم يذبحوا لهم، ولا دَعَوْهُم، ولا صرفوا لهم شيئًا مِن ذلك؛ إلَّا أنهم عندَ الله -تبارك وتعالى- مِن جملـةِ المشـركين، ولِمَ؟ لأنَّهم قـالوا، ولأنَّهم جعلـوا النـدَّ مـع الله -تبـارك وتعـالى- في حكمه.

فالله -جل جلاله- أخبرنا في كتابِهِ أنَّه له الخلقُ والأمرُ وأنَّ له الحكم، فكما أنَّ العبدَ إذا صَرَفَ العبادةَ لغيرِ اللهِ صار مشركًا؛ كذلكَ العبدُ يصيرُ مشركًا إذا صرف الحكمَ لغيرِ الله -جل في علاه-؛ قال اللهُ تعالى: {وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦)} [سورة الكهف: ٢٦]، وقال -جل في علاه-: {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} [سورة يوسف: ٤٠]، فبيَّن -جل في علاه- أنَّ الحكمَ مِن جملةِ العبادة، وأنَّ التَّشريعَ أصلٌ مِن أصولِ التَّوحيد.

نعمْ أخي في الله، فـإذا تبيَّنَ لـك ذلـك؛ فـاعلمْ أنَّ تقسيمَ التَّوحيدِ الَّذي يـذكرُهُ أهلُ العلمِ في مصنَّفاتِهِم يوضِّحونَ به توحيدَ الله -تبارك وتعالى-؛ إنَّما أرادوا بهذا التَّقسيمِ أن يوضِّحُوا للنَّاسِ حقيقةَ التَّوحيد، والجزءَ الَّذي غفل عن تحقيقِهِ كثيرٌ مِن المنتسبينَ للإسلام، مِنَ الجهلةِ الَّذينَ أوقعهُمْ إبليسُ في الشِّركِ وعبادةِ غيرِ الله -تبارك وتعالى-؛ كحالِ أقوامٍ كثيرينَ اليومَ يعرفونَ معنى التَّوحيد، ويعرفونَ معنى "لا إلـه إلَّا الله"، ولكنَّهم لا يـرونَ بأسًـا أن ينتخبـوا طاغوتًـا مِن الطَّـواغيت، يرشِّحُونَهُ للبرلمانِ والحكم، ويقرُّونَ لهم بالدِّيمقراطيَّةِ وبالعدالـةِ الاجتماعيَّةِ والحرِّيَّةِ الشَّخصيَّة، وغيرِ ذلـك مِن الكلماتِ الَّتي يريدونَ بها الباطلَ والشِّركَ بالله؛ تبيَّن لـكَ مدى تناقضِ العبـدِ حينما يقـولُ: "لا إلـه إلَّا الله"، ثمَّ لا يـرى بأسًـا، ولا يـرى مانعًـا أن يرشِّحَ العبـدُ نفسَـهُ ليكونَ عضـوًا في البرلمانِ الشِّركي يقرُّ الأحكام، ويمنعُ أحكامًا، ويُعرَضُ عليه كتابُ الله -تبارك وتعالى- فيقبلُ منه ما شاء، ويدفعُ منه ما شاء.

ولا شكَّ أنَّ مثلَ ذلك تناقضٌ عجيبٌ؛ فإنَّ اللهَ -تبارك وتعالى- قال: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠)} [سورة النساء]،

فاللهُ -تبارك وتعالى- بيَّن في هذهِ الآيةِ أنَّه مِن العَجَبِ أن يدَّعِيَ قومٌ الإيمان، وأنْ يدَّعُوا انتسابَهُمْ للإسلام، وأن يزعموا أنَّهُمْ يقولون: "لا إله إلا الله"، ثمَّ تراهُمْ بعد ذلك يريدونَ أن يتحاكموا إلى الطَّاغوت.

فإنَّ هذا الَّذي بيَّنه اللهُ -تبارك وتعالى- أراد به أن يوضِّحَ أنَّ مِن العَجَبِ ومِن التَّناقُضِ أن يَدَّعِيَ الإنسانُ التَّوحيدَ والإسلامَ والإيمان، ثمَّ يريدَ التَّحاكمَ إلى الطَّاغوت، ويصرفَ الحكمَ لغيرِ الله -جل في علاه-.

وبعضُ المبتدعةِ اليومَ ينكرُ على أهلِ السُّنة، فيقولُ: مِن أينَ لكُمْ أن تقسِّمُوا التَّوحيدَ هذا التَّقسيم؟ وبعضُهُمْ يخرجُ علينا فيقولُ: مِن أينَ للدَّولةِ الإسلاميَّةِ أن تجعلَ قسمًا للتَّوحيدِ اسمُهُ توحيدُ الحاكميَّة؟ نقولُ: إنَّ أهلَ العلمِ لمَّا قسَّموا التَّوحيدَ إلى توحيدِ الرُّبوبيَّةِ والألوهيَّةِ والأسماءِ والصِّفات؛ أرادوا بذلك أن يوضِّحوا جزءًا مِن التَّوحيدِ غفلَ النَّاسُ عنه، وظنَّ كثيرٌ منهم أنَّه ليسَ داخلًا فيه.

كذلك سار المجاهدونَ على هذا المنهج، لمَّا تركَ كثيرٌ مِن النَّاسِ اليومَ ممَّن أضلَّهُمُ الشَّيطان، ولبَّسَ عليهِمْ أمرَ دينهم، فظنُّوا أن لا بأسَ ولا مانعَ مِن أن يكونَ العبدُ متَّبِعًا للدِّيمقراطيَّةِ وهو مستمسكٌ بإسلامه، فإنَّه لمَّا كانَ حالُ النَّاسِ كذلك؛ أوضحنا لهُمْ أنَّ مِن أقسامِ التَّوحيدِ إفرادَ الله -تبارك وتعالى- بالحكم، وهو معنى توحيدِ الحاكميَّة؛ حتَّى نوضِّحَ لهم أنَّكُمْ وإنْ أقررتُمْ بالقسمِ الأوَّلِ -وهو توحيدُ الرُّبوبيَّة-، فعرفتُمْ أنَّ اللهَ وحدَهُ هو الخالق، وأقررتُمْ لله -تبارك وتعالى- بالألوهيَّة، فعرفتُمْ أنَّ الله -تبارك وتعالى- واحدٌ في عبادتِهِ لا شريكَ له، فلا يُصرفُ لغيرِهِ سجودٌ ولا ركوعٌ ولا صلاةٌ ولا صدقة؛ فكذلك نوضِّحُ لأكثرِ المشركينَ اليومَ الَّذينَ كان شركُهم بصرفِ الحكمِ لغيرِ الله؛ أنَّ مِنَ التَّوحيد وأنَّه لا يصحُّ لك إسلامٌ -أيُّها العبد-؛ حتَّى تُقرَّ لله -تبارك وتعالى- بالحكم؛ قال -جل في علاه-: {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ} [سورة يوسف: ٤٠].

إذًا فهذهِ -أيها الأحبة- هي المسائلُ المستفادةُ مِن القاعدةِ الأولى الَّتي قرَّرها الشَّيخُ -رحمه الله تعالى- في هذهِ الرِّسالةِ الطَّيِّبةِ المباركة، أسألُ اللهَ لنا ولكُمُ التَّوفيقَ والسَّدادَ في القولِ والعمل؛ إنَّه وليٌّ ذلك ومولاه، والسَّلامُ عليكُمْ ورحمة الله.




# الدرس الثالث (القاعدة الثانية)

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خيرِ خلقه أجمعين، نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ ومَنِ اهتدى بهديِهِ واستنَّ بسنَّتِهِ وسارَ على نهجِهِ إلى يومِ الدِّين؛ وبعدُ إخوتي الفضلاء:

أيُّها المستمعونَ الكرام، ما زلنا وإيَّاكم نتفيَّأ ظلالَ مسائلِ القواعدِ الأربع، وما فيها مِن العلمِ النَّافعِ الَّذي ينفعُنا في الدُّنيا والآخرة، وقد كنَّا في سالفِ دروسِنا شرحنا القاعدةَ الأولى، وكذلك مقدِّمةُ الرِّسالة، بيَّنَّا لكُمْ فيها جملةً من المسائلِ المهمَّةِ المتعلِّقةِ بما ذكر الإمامُ -رحمه الله تعالى- فيها.

ومِن أعظمِ ما تحدَّثنا عنه وبيَّنَّاهُ لكُمْ -أيُّها الفضلاء-: أنَّ القولَ في الحكمِ كالقولِ في العبادة، ومعناه: أنَّ الشِّركَ في الحكمِ كالشِّركِ في العبادة، وأزيدك إيضاحًا: إنَّ مَن صرف الحكمَ لغيرِ الله -تبارك وتعالى- كحالِ كثيرٍ من الناسِ في زماننا، ممَّن يتَّبعونَ السُّبلَ الدِّيمقراطيَّةَ والعلمانيَّةَ واللِّيبراليَّةَ وغيرَها، الَّتي تنصُّ على أنَّ للشَّعبِ حقَّ الحكم، وأنَّ للبرلمانِ حقَّ السِّيادةِ والتَّشريع، إنَّ القولَ بمثلِ هذه الأقوال، والتَّمذهبَ بمثلِ هذهِ المذاهب؛ هو شركٌ باللهِ كالشِّركِ باللهِ في عبادته، وصرفِ عبادةٍ من العباداتِ إلى غيره.

وممَّا ذكرناهُ كذلك لك -أيُّها الفاضل- مِن مسائل: أنَّ الشَّيطانَ يزيِّنُ للعبدِ عملَه، وإنَّ غايتَهُ في ذلكِ الأسمى أن يُوقِعَهُ في الشِّركِ بالله -تبارك وتعالى-، ولكلِّ قومٍ أمرٌ يعظِّمونَه، ولكلِّ زمنٍ بابٌ يفتحُهُ الشَّيطانُ للنَّاس، فيَدْخُلُونَ في الردَّةِ أفواجًا.

فلا تظنَّنَّ -أخي- أنَّ الشِّركَ مقتصرٌ على صرفِ الصَّلاةِ أو الدُّعاءِ أو الذَّبحِ أو النَّذرِ لغيرِ الله -تبارك وتعالى-؛ فإنَّ مِن الشِّركِ -كذلك- الَّذي حرَّم اللهُ وحَكَمَ على صاحبِهِ

بالكفرِ والخلودِ في النَّار؛ أن يصرفَ الحكمَ لغيرِهِ -جل في علاه-، وأن يجعلَ غيرَ الله -تبارك وتعالى- متبوعًا أو مُطاعًا، أو أن يبتغيَ غيرَ اللهِ -تبارك وتعالى- حَكَمًا.

قال اللهُ تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)} [سورة التوبة]، رُوِي أنَّ النبيَّ ﷺ قرأ هذهِ الآيةَ على مسمعِ عديِّ بنِ حاتم، وكانَ -رضي الله عنه- في الجاهليَّةِ نصرانيًّا، فقالَ للنبيِّ -عليه الصلاة والسلام-: "إنَّا لسنا نعبدُهُمْ"، فقالَ ﷺ: (أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتُحِلُّونَهُ؟)، قلتُ: "بلى"، قال: (فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ)[٦].

وهذا نصٌّ صريحٌ واضحٌ أنَّ حُكْمَ مَن صرفَ التَّشريعَ والتَّحليلَ والتَّحريمَ لغيرِ الله -تبارك وتعالى- حُكْمُ مَن صرفَ العبادةَ لغيرِهِ -جل في علاه-، فانتبهْ لذلك أيُّها الفاضلُ؛ فإنَّه مِن أهمِّ المسائلِ الَّتي إنْ هداكَ اللهُ إليها، فعرفتَهَا وفقهتَهَا؛ عصمكَ اللهُ -تبارك وتعالى- من كثيرٍ من الفتنِ في هذا الزَّمن، الَّتي أعظمُها صرفُ الحكمِ لغيرِ الله -تبارك وتعالى-، والتَّلبيسُ على النَّاس في ذلك، بقولهم: إنَّ توحيدَهُمْ سليمٌ لهم، ما داموا لا يعبدونَ الأصنام، ولا يركعونَ ويسجدونَ للأوثان، فاحذرْ أخي في الله؛ فإنَّ الشَّيطانَ قد ضحك على أولئك، فلا تكنْ مِن جملةِ ضحايا إبليس.

درسُنا هذا -إن شاء الله تعالى- نشرحُ فيه أو نوضِّحُ فيه المسائلَ المستفادةَ مِن القاعدةِ الثَّانيةِ لهذهِ الرِّسالة، والقاعدةُ بنصِّها قالَ -رحمه الله تعالى- فيها:

**"القاعدةُ الثَّانية: أنَّهُمْ يقولون: ما دَعَوْنَاهُمْ وتوجَّهْنَا إليهِمْ إلَّا لطلبِ القُرْبَةِ والشَّفاعة؛ فدليلُ القُرْبَةِ قولُه تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣)} [سورة الزمر].**

[٦] رواه أحمد، والترمذي وحسنه.

ودليلُ الشَّفاعةِ قولُ اللهِ تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ} [سورة يونس: ١٨].

والشَّفاعةُ شفاعتان: شفاعةٌ منفيَّةٌ، وشفاعةٌ مُثْبَتَةٌ.

فالشَّفاعةُ المنفيَّة: مَا كانت تُطلَبُ مِن غيرِ الله فيما لا يقدرُ عليه إلَّا الله، والدَّليلُ قولُهُ تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤)} [سورة البقرة].

والشَّفاعةُ المثبتةُ: هي الَّتي تُطلَبُ مِن الله، والشَّافعُ مُكْرَمٌ بالشَّفاعة، والمشفوعُ له مَن رضي اللهُ قولَهُ وعملَهُ بعدَ الإذن، كما قالَ اللهُ تعالى: {مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [سورة البقرة: ٢٥٥]".

إذًا فهذهِ هي القاعدةُ الثَّانيةُ مِن قواعدِ هذهِ الرِّسالة، إنَّ أوَّلَ ما ينبغي علمُهُ ومعرفتُهُ -أيُّها الفاضلُ-؛ أنَّ أعظمَ المسائلِ وضوحًا في كتابِ الله، وأقوى الحججِ الَّتي أوحاها اللهُ -تبارك وتعالى- إلى رسوله -عليه الصلاة والسلام-؛ هي في تقريرِ التَّوحيد، ونبذِ الشِّرك والتنديد، هي في تعريفِ التَّوحيد، وتعريفِ الشِّرك، هي في إيضاحِ سبيلِ المؤمنين، وإيضاحِ سبيلِ المجرمين، هي في بيانِ شُبَهِ المشركين، وبيانِ سبيلِ الموحِّدين.

فإنَّ ذلك يكفي المرءَ في أن يُبطِلَ كلَّ شبهةٍ لشبه المشركين، وأعظمُ تلك الشُّبهةِ ما ذكرها الإمامُ -رحمه الله تعالى- في هذهِ القاعدةِ مع ذكرِ الرَّدِّ عليها؛ فشبهتُهُمْ -أيْ: شبهةُ المشركينَ الَّذينَ يعبدونَ غيرَ الله- أنَّهُمْ ما عبدوهم، وما سألوهم، وما استشفعوهم، ولا تقرَّبُوا لهُمْ يقصدونهُمْ هُمْ، وإنَّما يصنعونَ ذلك تقرُّبًا إلى الله، ويفعلونَ ذلك تعبُّدًا لله، وينوونَ بذلك القربى والزُّلفى عندَ الله.

ولكنَّ اللهَ -تبارك وتعالى- دحض هذهِ الحجَّة، وقطعَ كلَّ زعمٍ للمشركين، فلم يبقَ لهم شيءٌ يتعلَّقونَ به مِن الآياتِ أو مِن الأحاديثِ حتَّى يُسوِّغُوا لأنفسِهِمْ مذاهبَهُمُ الشِّركيَّة.

فإنَّ الله -تبارك وتعالى- قال: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ} أيِ الَّذينَ يصرفونَ العبادةَ لغيرِ الله -تبارك وتعالى-، فيسألونَ أصحابَ القبور، أو يَدْعُونَ أهلَ القباب، أو غيرَ ذلك ممَّن زعموا أنَّ لهُمُ المنزلةَ والجاهَ عندَ الله؛ أولئكَ ماذا قالوا؟ قال اللهُ -تبارك وتعالى- عنهم: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ} أيْ: مَا عبدناهُمْ حقيقةً نَطْلُبُ منهُمُ الثَّواب، أو نسألُهُمْ دفعَ العقاب، أو نرجو منهُمْ جنَّةً، أو نخافُ منهُمْ نارًا؛ وإنَّما كانَ ذلك طلبًا للجاهِ وللوسيلةِ وللوسيطِ الَّذي يقرِّبُنا إلى اللهِ زُلْفَى.

فقالَ اللهُ -تبارك وتعالى-: {إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}، فبيَّن اللهُ -تبارك وتعالى- أنَّهم رغم زعمِهِمْ ورغمَ مقصدِهِمْ مِن عبادةِ اللهِ والتَّقرُّبِ إليه، رغمَ ذلكَ كلِّه؛ فهُمْ عندَ الله -تبارك وتعالى- كفَّارٌ ومشركون؛ لأنَّ الله -تبارك وتعالى- سمَّاهم: {اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ}؛ حتَّى تعلم -أخي الفاضل- أنَّ العبرةَ عندَ الله -تبارك وتعالى- وفي كتابِهِ هي العبادةُ لِمَنْ صُرِفَتْ، إنْ صُرِفَتْ لله -تبارك وتعالى- وحدَهُ؛ فذلكَ حالُ الموحِّد، وتلكَ عبادةُ الموحِّد، وإنْ صُرِفَتْ لغيرِ الله -تبارك وتعالى-؛ فتلكَ حالُ المشرك، وتلكَ عبادةُ المشرك، فلا عبرةَ إذًا بالقصد، ولا نظرَ ولا اعتبارَ إلى النيَّة؛ فإنَّ النيَّةَ الحسنةَ وإنَّ المقصودَ الصَّحيحَ لا يَشفَعُ للعملِ أن يُصِيبَ الحقَّ إذا كانَ باطلًا، وإذا كانَ شركًا في الكتابِ والسُّنَّة.

فإنَّ هؤلاءِ عندَ الله -تبارك وتعالى- كغيرِهم ممَّن عبدوا غيرَ الله طلبًا لهُمْ؛ فلا فرقَ عندَ الله -تبارك وتعالى- بينَ مَن يعبدُ غيرَ الله طلبًا للثَّوابِ مِن عندِه، أو مَن يعبدُ غيرَ الله -تبارك وتعالى- طلبًا لِمَا عندَ الله.

وهكذا إذًا يتَّضحُ لنا أنَّ زعمَ المشركينَ وشبهةَ المشركينَ وما تعلَّقوا به وما استمسكوا به مِن الحججِ الواهية؛ باطلٌ ومدحوض، كما أخبر اللهُ -تبارك وتعالى-.

وإنَّ قومًا مِن أهلِ زمانِنا قالوا بمثلِ قولِهم، وانتهجوا مثلَ المنهجِ الَّذي انتهجهُ أولئكَ الذينَ خدعوا أنفسَهم، ووقعوا في الشِّرك، وهم لا يدرونَ ولا يعلمون.




ومِن ذلك طوائفُ تنتسبُ للإسلام، وللعملِ لإرجاعِ المسلمينَ إلى عزِّهم، وإقامةِ الحكومةِ الإسلاميَّةِ لهُمْ، وغيرِ ذلك مِنَ الأهدافِ والمزاعمِ الَّتي روَّجوا لها حتَّى يكسبوا أصواتَ النَّاسِ في برلماناتِهِمُ الشِّركيَّة، ومِن ذلك أحزابُ الإخوانِ وغيرِهم ممَّن سَلَخُوا عنْ دينِهِمْ وابتغوا غيرَ الله -تبارك وتعالى- حَكَمًا؛ فإنَّ هؤلاءِ لا فرقَ بينَهُمْ وبينَ العلمانيِّينَ الخُلَّص، وبينَ الدِّيمقراطيِّينَ الخُلَّص، وبين اللِّيبراليِّينَ الخُلَّص.

وقد ذكرنا لكَ آنفًا أخي في الله؛ كما أنَّه لا فرقَ بينَ مَن عبد غيرَ اللهِ يقصدُه، ومَن عبد غيرَ اللهِ يريدُ اللهَ بذلك؛ كذلك لا فرقَ بينَ الإخونجيِّ والمنتسبِ للسَّلفيَّةِ ممَّنِ اتَّبعوا الدِّيمقراطيَّة، وابتغوا غيرَ الله حَكَمًا، يريدونَ بذلك أن يجعلوها وسيلةً وواسطةً تقرِّبُهُمْ إلى الله، ويحقِّقوا بها مقصودَهُمْ مِن عبادتِهِ وإقامةِ الدَّولةِ الإسلاميَّة، فلا فرقَ بينَهُمْ وبينَ أولئك الَّذينَ يرونَ الدِّيمقراطيَّةَ هي العدلَ، وهي المقصودةَ وهي المطلوبةَ لذاتها، مِنْ طوائفِ العلمانيَّةِ وغيرِهم؛ فإنَّ الفرقَ بينَ هؤلاءِ وأولئكَ أنَّ الإخوانَ وغيرَهُمْ ممَّن تلبَّسوا بالنَّواقضِ الَّتي تلبَّسوا بها قالوا: إنَّنا نحنُ لا نريدُ الدِّيمقراطيَّةَ لذاتها، وما اتَّبعنا الدِّيمقراطيَّةَ إلَّا لتقرِّبَنَا إلى الله زلفى! وما ابتغينا الدِّيمقراطيَّةَ والمجالسَ النِّيابيَّةَ إلَّا لقيامِ دولةٍ إسلاميَّة! فإنَّهم كسلفِهِمْ مِن المشركين، كفَّارٌ عندَ الله -تبارك وتعالى-؛ لأنَّه كما مضى وتقرَّر أنَّ العبادةَ وأنَّ الطَّاعةَ وأنَّ التَّوحيدَ لا يتحقَّقُ إلَّا إذا صُرِفَ الحكمُ للهِ -تبارك وتعالى-.

إذًا فلا فرقَ -بناءً على مَا تقرَّر- بينَهُمْ وبينَ العلمانيِّينَ الَّذينَ لا يبتغونَ بالدِّيمقراطيَّةِ دولةً إسلاميَّةً أو حكومةً إسلاميَّةً أو تعاليمَ إسلاميَّة، بل يقصدونَ الدِّيمقراطيَّةَ بعينِهَا وذاتِها، وإنَّ مثلَ الإخوانِ وأربابِهِمْ مِن العلمانيِّينَ وغيرِهِمْ كمثلِ المشركينَ الَّذينَ يعبدونَ الأصنامَ فيسألونَهُمُ الجنَّةَ ويخافونَ مِن عقابِهِمْ، وبينَ مَن عبدَ أولئك الأصنام، ولكنَّهُمْ لا يقصدونَ منهُم، ولا يطلبونَ منهُمْ جنَّةً ولا نارًا، وإنَّما يطلبونَ منهُمُ الواسطةَ والوسيلةَ الَّتي تقرِّبُهُمْ إلى الله -تبارك وتعالى-.

فاحذرْ أخي في الله؛ فإنَّ ذلك مِن أعظمِ المسائلِ أهميَّةً في هذهِ القاعدة؛ أن تعرفَ أنَّه لا فرقَ بينَ مشركٍ عبدَ غيرَ اللهِ يقصدُ بذلك اللهَ، وبينَ مشركٍ عبدَ غيرَ اللهِ يقصدُ بذلك غيرَ الله.

ثمَّ قال -رحمه الله تعالى- ردًّا على دعواهُمْ في أنَّهُمْ يطلبونَ الشَّفاعةَ مِن آلهتهم: فالشَّفاعةُ دليلُهَا قولُه تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ}، فكما قالوا في الأولى: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ}، فقالوا في الثَّانية: مَا عبدناهُمْ إلَّا ليشفعوا لنا عندَ الله.

وكذلك من عشَّشَ الشِّركُ في قلبه؛ فإنَّه لا يفتأ ولا ينفكُّ عنْ إيجادِ السُّبلِ والشُّبَهِ والأعذارِ والتَّبريراتِ الَّتي يُقرُّ بها عبادتَهُ لغيرِ الله -تبارك وتعالى-، كما يجتهدُ مشركو زمانِنا في إثباتِ صحَّةِ منهجِهِمْ واستقامةِ طريقتِهِمْ، وأنَّه لا منافاةَ بينَ الإسلامِ وديمقراطيَّتِهِمْ، ولا منافاةَ بينَ الإسلامِ وبينَ اتِّباعِهِمْ للدَّساتيرِ والقوانينِ الوضعيَّةِ الَّتي يشرِّعُهَا الأربابُ الَّذينَ ينازعونَ اللهَ -تبارك وتعالى- في الحكمِ والتَّشريع؛ فهؤلاءِ قالوا: ما نعبدُهُمْ إلَّا لطلبِ الشَّفاعة.

**والشَّفاعةُ معناها:** أن يكونَ المرءُ شفيعًا لصاحبِهِ وأصل ذلك السَّند، والشَّفعُ ما قابلَ الوتر، فسُمِّيَتِ الشَّفاعةُ شفاعةً لأنَّهُ انضمَّ إلى الرَّجُلِ آخَرُ ليشفعَ لهُ فيتقوَّى بِهِ ويستندَ إليه؛ فهؤلاءِ توجَّهُوا إلى الآلهةِ وعبدوهُمْ مِن دونِ الله، وزعموا أنَّ ذلك ممَّا يتقرَّبونَ بِهِ إلى الله -تبارك وتعالى- برجاءِ شفاعتِهِمْ وطلبِهَا مِن عندهم، فأخبر اللهُ -تبارك وتعالى- في هذهِ الآيةِ أنَّ زعمَهُمْ باطلٌ، وأنَّهُمْ وإنْ كانوا يقصدونَ بذلكَ الشَّفاعةَ مِن عندهم؛ إلَّا أنَّهُمْ مشركونَ كفَّارٌ، كما قال اللهُ -تبارك وتعالى- عنهم لمَّا سمَّاهُمْ: {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ}، فسمَّاهُمُ الله -تبارك وتعالى- عبدةً لغيرِ الله -أي: مشركينَ، أي: كفَّارًا- لمَّا عبدوا أولئكَ وإنْ كانوا يزعمونَ طلبَهُمْ للشَّفاعةِ مِن عندهم.





ثمَّ قال -رحمه الله تعالى-: "والشَّفاعةُ شفاعتان: شفاعةٌ منفيَّة"، ومعناها: نفاها الشَّرعُ، أي: نهى عنها وأبطلَها، "وشفاعةٌ مُثْبَتَةٌ"، أي: أثبتَهَا الشَّرعُ وقرَّرَهَا، ودلَّتِ الأدلَّةُ على مشروعيَّتِهَا.

ثمَّ قال: "فالشَّفاعةُ المنفيَّةُ ما كانتْ تُطلَبُ مِن غيرِ اللهِ فيما لا يقدرُ عليه إلَّا الله"، أي: أنَّك إذا دعوتَ غيرَ الله -تبارك وتعالى-، والدُّعاءُ لا يجوزُ صرفُهُ لغيرِ الله، وسؤالُ الغائبِ مِنَ الأمواتِ ومَن لا يسمعُ ولا ينفع، كلُّ أولئكَ ممَّا لا يقدرُ عليه الشَّافعُ، وممَّا لا يقدرُ عليه المطلوبُ؛ فإنَّ الشَّفاعةَ لمَّا كانتْ تُطلَبُ من غيرِ اللهِ فيما لا يقدرُ عليه إلَّا الله؛ فإنها بذلك صارتْ شفاعةً شركيَّة؛ لأنَّ حقيقةَ الشِّركِ بالله -تبارك وتعالى- أنْ تَصرِفَ العبادةَ لغيرِ الله، أو أنْ تَدْعُوَ غيرَ اللهِ فيما لا يقدرُ عليه إلَّا الله، كأنْ تسألَ ميّتًا أو صاحبَ قبرٍ أن يشفعَ لكَ أو يوفِّقَكَ أو يُرشِدَكَ أو أن يقرِّبَك إلى الله، وما شابه ذلك مِنَ المقاصدِ ومن المطالبِ الَّتي يطلبونَهَا مِن الَّذين لا يقدرونَ عليها، مِنَ الأصنامِ والأوثانِ والأحجارِ وغيرِها؛ فكلُّ ذلك داخلٌ في حقيقةِ الشِّركِ وعبادةِ غيرِ الله.

ثمَّ قالَ -رحمه الله تعالى-: "والدَّليلُ -أيِ الدَّليلُ على الشَّفاعةِ المنفيَّة- قولُهُ تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤)} [سورة البقرة]"، والشَّاهدُ مِن الآيةِ قولُهُ تعالى: {وَلَا شَفَاعَةٌ} أي: أنَّ يومَ القيامةِ لا تنفعُ شفاعةُ الشَّافعِ إلَّا شفاعةً أثبتها اللهُ -تبارك وتعالى-؛ فإنَّ المشركَ بطلبِهِ الشَّفاعةَ مِن غيرِ اللهِ ممَّن عبدهُمْ ودعاهُمْ مِنَ الأولياءِ، وأصحابِ القبورِ والقبابِ، والأصنامِ والأوثان؛ فإنَّه يقعُ ويطلبُ شفاعةً منفيَّة، شفاعةً خالفتْ توحيدَ الله -تبارك وتعالى- وصرفَ العبادةِ إليه وحدَه.

ثمَّ قال -رحمه الله-: "والشَّفاعةُ المثبتةُ هي الَّتي تُطلَبُ مِنَ الله"، وبهذا نَعرِفُ الفرقَ بينَ الشَّفاعةِ المثبتةِ والشَّفاعةِ المنفيَّة؛ فالشَّفاعةُ المثبتةُ قوامُها توحيدُ الله -تبارك وتعالى- وإفرادُهُ بالدُّعاء، والشَّفاعةُ المنفيَّةُ قوامُهَا وأصلُها صرفُ الدُّعاءِ لغيرِ اللهِ مِن





الأندادِ وغيرِهِمْ مِن المعبودات، فالشَّفاعةُ المثبتةُ هي الَّتي تُطلَبُ مِنَ الله وحدَه، لا تُطلَبُ مِن غيرِهِ ولا تُقصَدُ مِن غيره، وإنَّما هي لله -تبارك وتعالى- وحدَه.

ثمَّ قال -رحمه الله-: "والشَّافعُ مُكْرَمٌ بالشَّفاعة"، أي: أنَّه لا يَشْفَعُ إلَّا مكرمٌ عندَ اللهِ مِن الأنبياءِ والرُّسلِ والأولياءِ والصَّالحينَ والملائكةِ والشُّهداءِ وصاحبِ القرآن، وغيرِ ذلك ممَّن أثبتَ اللهُ شفاعتَهُمْ، مِنَ الَّذين رَضِيَ الله -تبارك وتعالى- عنهم، وأكرمَهُمْ بذلك، فلا يصحُّ مِن عبدٍ أن يطلبَ الشَّفاعةَ أو أنْ يُثبِتَ الشَّفاعةَ لأحدٍ لم يُعطِهَا اللهُ -تبارك وتعالى- إيَّاه؛ فإنَّ مثلَ ذلك مِن الشَّفاعةِ المنفيَّة، "والمشفوعُ لَهُ مَن رضي اللهُ قولَهُ وعملَه"، أي: أنَّ الكافرَ باللهِ والمشركَ في عبادتِه؛ ما تنفعُهُ شفاعةُ شافعٍ يومَ القيامة، كما قال اللهُ تعالى: {فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨)} [سورة المدثر].

فإنَّ الله -تبارك وتعالى- ذكر في كتابِهِ أنَّ المشركَ لا تنفعُهُ شفاعةُ الشَّافع؛ لأنَّه لم يأتِ بالأصلِ الَّذي يجعلُ اللهُ -تبارك وتعالى- الشَّفاعةَ فضلًا للعبد؛ فإنَّ الشَّفاعةَ لا تكونُ إلَّا لموحِّد؛ قال ﷺ كما في حديثِ أبي هريرةَ، لمَّا سُئِلَ: مَن أسعدُ النَّاسِ بشفاعتك؟ قال: (مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ)[٧]؛ فإنَّ الَّذي لا يأتي بكلمةِ التَّوحيدِ ولا يحقِّقُهَا خالصًا مِن قلبِهِ صادقًا في قولِهِ وعمله؛ فإنَّه لا ينالُ بذلك شفاعةَ الله -تبارك وتعالى- الَّتي أكرمَ بها عبادَهُ الموحِّدينَ المؤمنينَ يومَ القيامة؛ قال اللهُ تعالى: {مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [سورة البقرة: ٢٥٥] أي: لا يشفعُ أحدٌ إلَّا بإذنِ الله -تبارك وتعالى-، فلا يملكُ الشَّافعُ أن يشفعَ إلَّا إذا أَذِنَ الله، ولا يطمعُ مشفوعٌ له بشفاعةِ أحدٍ إلَّا إذا كانَ مِن جملةِ الموحِّدين.

فإذا تبيَّن لكَ ذلك أخي في الله؛ تعلمُ تَهافُتَ حججِ المشركينَ وبطلانَها، كما أخبر اللهُ -تبارك وتعالى-: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ

---

٧ هذا تركيب لحديثين رواهما البخاري؛ الأول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، **مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟** فَقَالَ: "لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ". الثاني: عن عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ، [...] قال النَّبِيُّ ﷺ: "لَا تَقُلْ؛ أَلَا تَرَاهُ قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ". قال: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قالَ: قُلْنَا: فَإِنَّا نَرَى وَجْهَهُ وَنَصِيحَتَهُ إِلَى الْمُنَافِقِينَ؟ فقالَ: "فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ **مَنْ قالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ**".

الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ} [سورة فاطر: ٤٠]، نعمْ: فإنَّهُمْ لا يملكونَ شيئًا، ولا يَقصِدُونَ ولا يرجونَ مِن آلهتِهِمْ شيئًا.

قال الله -تبارك وتعالى-: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} [سورة سبأ: ٢٢-٢٣]؛ فليسَ لله شريكٌ في الملك، ولا شريكٌ في العبادة، ولا معينٌ لله -تبارك وتعالى- ولا ظهيرٌ ولا وزير، وكذلك لم يبقَ إلَّا الشَّفاعةُ يتعلَّقُ بها المشركون، فقال اللهُ -تبارك وتعالى-: {وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ}، فبذلك اقتلعَ الله -تبارك وتعالى- شجرةَ الشِّركِ من جذورِهَا، ولم يبقَ للمشركينَ -سواءً في زمانِنا أو الأوَّلين- حجَّةٌ يستندونَ عليها أو يتمسَّكونَ بها، يوهمونَ أنفسَهُمْ أنَّهُمْ على شيء، {ألا إنَّهُمْ هُمُ الكاذبون}.

سبحانك اللَّهمَّ وبحمدك، نشهدُ أن لا إله إلَّا أنت، نستغفرُك ونتوبُ إليك، وجزاكُمُ الله خيرًا أحبَّتي في الله، ومعَ لقاءٍ آخرَ نشرحُ فيه القاعدةَ الثَّالثةَ بإذنِ الله، والسَّلامُ عليكُمْ ورحمةُ الله.

# الدرس الرابع (القاعدة الثالثة)

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسوله الإمامِ الأمين، وعلى آله وأصحابِهِ وعلى مَنِ اهتدى بهديِهِ واستنَّ بسنَّتِه، وجاهد لإحياءِ دينِهِ إلى يوم الدِّين؛ وبعد:

فهذا درسُكُمْ -إخوتي المستمعين- هو الدَّرسُ الرَّابعُ في شرحِنَا للقواعدِ الأربع، كانَ الدَّرسُ الأوَّلُ شرحًا للمقدِّمة، والثَّاني شرحًا للقاعدةِ الأولى، وكانَ الثَّالثُ شرحًا للقاعدةِ الثَّانية، ودرسُكُمْ هذا -إن شاء الله تعالى- أحبَّتي هو شرحٌ للقاعدةِ الثَّالثةِ مِن القواعدِ الأربعِ لشيخِ الإسلامِ محمَّدِ بنِ عبدِ الوهَّاب -عليه رحمة الله تعالى-؛ فنقولُ -وبالله التَّوفيق-:

**"القاعدةُ الثَّالثة: أنَّ النبيَّ ﷺ ظهر على أناسٍ متفرِّقينَ في عبادتهم، منهُمْ مَن يعبدُ الملائكة، ومنهُمْ مَن يعبدُ الأنبياءَ والصَّالحين، ومنهُمْ مَن يعبدُ الأحجارَ والأشجار، ومنهُمْ مَن يعبدُ الشَّمسَ والقمر، وقاتلهُمْ رسولُ الله ﷺ ولم يفرِّقْ بينهُمْ، والدَّليلُ قولُهُ تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} [سورة الأنفال: ٣٩].**

**ودليلُ الشَّمسِ والقمرِ قولُهُ تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ} [سورة فصلت: ٣٧].**

**ودليلُ الملائكةِ قولُهُ تعالى: {وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا} [سورة آل عمران: ٨٠].**

**ودليلُ الأنبياءِ قولُهُ تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦)} [سورة المائدة].**

ودليلُ الصَّالحينَ قولُهُ تعالى: {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ} [سورة الإسراء: ٥٧].

ودليلُ الأحجارِ والأشجارِ قولُهُ تعالى: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (٢٠)} [سورة النجم]، وحديثُ أبي و اقدٍ اللَّيثيِّ -رضي الله عنه- قال: خرجنا مع النبيِّ ﷺ إلى حنينٍ ونحنُ حدثاءُ عهدٍ بكفر، وللمشركينَ سدرةٌ يعكفونَ عندها، وينوطونَ بها أسلحتَهُمْ، يقالُ لها: ذاتُ أنواطٍ، فمررنا بسدرةٍ فقلنا: يا رسولَ الله، اجعلْ لنا ذاتَ أنواطٍ كما لهُمْ ذاتُ أنواط... الحديثَ[٨]".

فهذهِ إذًا هي القاعدةُ الثَّالثةُ نذكرُ المسائلَ المستفادةَ منها، فنقولُ -وبالله التوفيق-: ذكرَ الإمامُ -رحمه الله تعالى- في أوَّلها مسألةً مهمَّةً وأصلًا عظيمًا ينبغي للمجاهدِ خاصَّةً أن يعلمَهُ وأن يفقهَهُ؛ ذلك أنَّ انحرافَ كثيرٍ مِن الجماعاتِ في وقتِنَا هو بسببِ اختلافِ تعاملِهِمْ مع طوائفِ الكفر، والله -تبارك وتعالى- جعلهُمْ سواءً في الحكم.

فالنبيُّ ﷺ كما ذكرَ الإمامُ -رحمه الله تعالى- ظهر على أناسٍ متفرِّقِينَ في العبادة، ولكنْ رغمَ اختلافِهِمْ وتعدُّدِ مذاهبِهِمْ وتنوُّعِ مشاربِهِمْ؛ عاملهُمُ النبيُّ ﷺ معاملةً واحدة، وحَكَمَ فيهِمْ بحكمٍ واحد، ألا وهو التَّكفيرُ والقتال.

فظهرَ على أناسٍ يعبدونَ الملائكة، ويقولونَ: هُمْ عبادٌ يقرِّبونَنا إلى الله -تبارك وتعالى- زُلْفَى إذا عبدناهم، ومنهُمْ مَن يعبدُ الأنبياءَ والصَّالحين، ومنهُمْ مَن يعبدُ الأحجارَ والأشجار، لمَّا أوهمَهُ الشَّيطانُ وصدَّقَ عليه ظنَّهُ حينما اعتقدَ أنَّ في مثلِهَا النَّفعَ والضَّرَّ، وهو بذلكَ حُرِمَ نعمةَ العقلِ قبلَ أن يُحرَمَ مِن نعمةِ الشَّرعِ والهداية.

ومنهُمْ مَن يعبدُ الشَّمسَ والقمر، كالَّذينَ على دأبِ قومِ إبراهيمَ -عليه السلام-، حينما كانَ في قومٍ يعبدونَ الكواكبَ والشَّمسَ والقمر؛ فلقد ذكر اللهُ -تبارك وتعالى-

---

[٨] رواه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح. الحديث كاملًا: عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ، مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "سُبْحَانَ اللهِ، هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ".

عنه أنَّهُ قال: {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًاۖقَالَ هَٰذَا رَبِّيۖفَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖفَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُۖفَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨)} [سورة الأنعام].

وتَبِعَهُمْ في ذلك المشركونَ زمنَ النبيِّ -عليه الصلاة والسلام-، فصرفوا العبادةَ للشَّمسِ والقمرِ وسَجَدُوا لها، وعبدوها مِن دونِ اللهِ تعظيمًا.

وهؤلاءِ الَّذينَ ذكرهُمُ الإمامُ؛ لم يُرِدْ بذلك حصرَ المللِ ولا استيعابَها، بل إنَّ النبيَّ -عليه الصلاة والسلام- ظهرَ على أقوامٍ غيرِ هؤلاءِ، فمنهُمْ مَن كانوا دهريِّينَ لا يرونَ موتًا ولا بعثًا ولا نشورًا، ومنهُمْ مَن كانوا يَكفُرُونَ بوجودِ اللهِ أصلًا، ومنهُمْ مَن يُنكِرُ الخلق، ومنهُمْ نصارى يقولونَ: ثالثُ ثلاثةٍ، ويقولونَ: المسيحُ ابنُ اللهِ، ويقولونَ: المسيحُ هو اللهُ، ومنهُمْ يهودُ ممَّنِ استكبروا بعدما عرفوا الحقَّ، وعرفوا صفةَ رسولِ الله ﷺ كما هي منصوصةٌ عندهُمْ في التَّوراة.

فأولئك جميعُهُمْ، مَن تتبَّعَ واستقرأ سيرةَ المصطفى -عليه الصلاة والسلام-؛ علم أنَّه ﷺ لم يفرِّقْ في الحكمِ بينهم، ولم يفرِّقْ بينَهُمْ في قتال، بل دعاهُمْ جميعًا إلى الإسلام، ودعاهُمْ إلى كلمةٍ سواء: أن يعبدوا اللهَ وحدَهُ لا شريكَ له.

ولك أنْ تعرفَ -أخي في الله- أنَّ مِن المناهجِ الضَّالَّةِ المنحرفةِ في زماننا أن يُفرَّقَ بينَ الأعداءِ على غيرِ أساسِ الكتابِ والسُّنَّة؛ فاللهُ -تبارك وتعالى- أمرنا أنْ نُقاتِلَ الكفَّارَ لأنَّهُمْ كفَّار، وأمرنا أنْ نعاديَ الكفَّارَ لأنَّهُمْ كفَّار، وأمرنا أنْ نتبرَّأَ مِن الكفَّارِ لأنَّهُمْ كفَّار، ولم يُعلِّقْ ذلك بعداوةٍ منهُمْ ولا بغيرِ ذلك، وإنَّما العلَّةُ في قتالِهِمْ وفي عداوتِهِمْ وفي المُفَاصَلَةِ بيننا وبينهُمْ هو: الإيمانُ والكفر؛ فالنبيُّ -عليه الصلاة والسلام- قاتلهُمْ حتَّى يخضعوا لحكمِ اللهِ ويَدْخُلُوا الإسلام، ويُقِرُّوا لله -تبارك وتعالى- بما كفروا به وناقضوهُ وخالفوهُ باتِّباعِ مذاهبِهِم.

فإنَّ المجاهدَ في سبيلِ اللهِ إذا أراد الهداية؛ فعليه أنْ يتعاملَ مع عدوِّهِ على أساسِ ما ذَكَرَ اللهُ -تبارك وتعالى- في وحيِهِ وعلى لسانِ رسوله ﷺ، فلا يُمَيِّزُ كافرًا عنْ كافر، ولا يُفرِّقُ بينَ كافرٍ وكافرٍ في التَّعاملِ إلَّا بناءً على أصلٍ في الكتابِ والسُّنة.

فإذا تبيَّنَ ذلك لك أخي في الله؛ فاعلمْ أنَّ الطَّوائفَ الَّتي تدَّعي الانتسابَ للإسلام، ممَّنْ يُدَاهِنُونَ الكفَّارَ ويعاملونَهُمْ بناءً على مصلحةٍ دنيويَّةٍ ورغباتٍ زائفةٍ زائلة، فمنهُمْ مَن يطمعُ في حاضنةٍ شعبيَّة، ومنهُمْ مَن يطمعُ في سلامةِ البنيةِ التَّحتيَّةِ لبلده، فيدخلُ في طاعةِ الصَّليبيِّينَ؛ خشيةَ طيرانِهِمْ وتحالفِهِمْ، ويقاتلُ النُّصيريَّةَ بناءً على اعتدائهم، وأنَّهُمْ آذوا الشَّعبَ السُّوري، وغير ذلك مِنَ النزعاتِ الوطنيَّة.

والدَّولةُ الإسلاميَّةُ ومجاهدوها لا يقاتلونَ إلَّا على أساسِ الإيمانِ والكفر، لا يقاتلونَ سياسةً ولا مصلحةً ولا طمعًا، ولا استرضاءً واستجلابًا لحاضنةٍ شعبيَّة، وإنَّما يقاتلونَ امتثالًا لأمرِ اللهِ في كتابِه؛ قال اللهُ تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ}.

ومِن المسائلِ المستفادةِ مِن هذهِ القاعدة: أنْ تعلمَ -أخي في الله- أنَّه ورغمَ اختلافِ مللِ الكفرِ وتشعُّبِ مذاهبِهِمْ، وسعيِ كلِّ طائفةٍ منهُمْ إلى عبادةِ حجرٍ أو شجرٍ أو قبرٍ أو وليٍّ أو حاكمٍ أو طاغوت؛ فإنهُمْ في قتالِهِمْ للموحِّدينَ واجتماعِهِمْ لحربِ المجاهدينَ ملَّةٌ واحدة، لا تكادُ تُفرِّقُ بينَ كافرٍ وكافر، ولا تستطيعُ التَّمييزَ بينَ مشركٍ على ملَّةٍ وآخرَ على ملَّةٍ غيرِ تلكَ الملَّة.

وإنَّهُمْ ما حملهُمْ على اجتماعِهِمْ ذاك؛ لأنَّ العاملَ لنقضِ مِلَلِهِمْ وزوالِ آثارِهِمْ ووجودِهِمْ هو أهلُ التَّوحيدِ والجهاد؛ فلذلك -أخي في الله- حينما تقرأ مثلَ هذهِ المسائل، وتنظرُ في مثلِ هذهِ القواعد، وتتدبَّرُ مثلَ تلك الآيات؛ تعرفُ حقيقةَ اجتماعِ العالمِ اليومَ على الدَّولةِ الإسلاميَّةِ وإنْ كانَ بعضُهُمْ ينتسبُ للإسلام، وبعضُهُمْ ينتسبُ للسُّنة، بل بعضُهُمْ ينتسبُ للسَّلفِ الصَّالحِ -رضوان الله عليهم-؛ فإنَّهُمْ مع ذلك يجتمعونَ مع

الصَّليبيّينَ تحتَ رايةٍ واحدةٍ وحلفٍ واحدٍ يقاتلونَ المجاهدينَ في سبيلِ الهيمنةِ العالميَّةِ لصالحِ الصَّليبيّينَ واليهود.

اعلمْ -أخي في الله- أنَّ إدراكَكَ الحقَّ وفقهَكَ الهُدَى وعلمَكَ أيُّ الطَّائفتَينِ أولى بالحقّ؛ هو أنْ تعرفَ مثلَ هذهِ القواعدِ الَّتي وضَّحوا بها توحيدَ الله -تبارك وتعالى-؛ فإنَّك إذا علمتَ الشّركَ فاجتنبتَهُ وعرفتَ أهلَهُ وعرفتَ أنَّهُمْ يجتمعونَ تحتَ رايةٍ واحدةٍ رغمَ اختلافِ مللِهِمْ؛ عرفتَ ما الواجبُ عليك تجاهَ مثلِ هذهِ التَّحالفاتِ ضدَّ الدَّولةِ الإسلاميَّة، فاسألِ اللهَ -تبارك وتعالى- الهدايةَ والثَّبات.

ثمَّ قال الشَّيخُ -رحمه الله تعالى-: "ودليلُ الشَّمسِ والقمرِ -أي: والدَّليلُ على أنَّ منهُمْ مَن يعبدُ الشَّمسَ والقمر- قولُهُ تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ} [سورة فصلت: ٣٧]"، فاللهُ -تبارك وتعالى- خاطبَ في هذهِ الآيةِ أقوامًا زمنَ النبيِّ -عليه الصلاة والسلام- يعبدونَ الشَّمسَ والقمر، كما هو حالُ مَن بُعِثَ فيهِمُ الخليلُ إبراهيمُ -عليه السلام- وحالُ قومِ بَلْقِيسَ حينما أخبرَ هُدْهُدُ سليمانَ بما كانوا عليه مِن عبادةِ الشَّمسِ والقمر، كما قال اللهُ تعالى: {إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤)} [سورة النمل].

وإنَّ صاحبَ الفطرةِ السَّليمةِ يعلمُ أنَّ عبادةَ الشَّمسِ والقمرِ باطلة، فحتَّى الهُدْهُدُ استنكرَ ذلك فقال: {أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥)} [سورة النمل]، فعلم أنَّ مثلَ ذلك باطلٌ، وعلم أنَّ عبادةَ الشَّمسِ والقمرِ لا تنفعُ العبدَ شيئًا، واللهُ -تبارك وتعالى- أوضح بطلانَ عبادتِهِمْ بقوله: {وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ} أي: فاسجُدُوا واعبُدُوا مَن كانَ مستحقًّا للعبادة، وهو الخالقُ -جل في علاه-.

فلا يصحُّ أن يعبدَ العبدُ مخلوقًا، ولا يصحُّ مِنَ المرءِ أن يعبدَ مَن لا يملكُ ضَرًّا ولا نفعًا، وكيف يُعبَدُ المخلوقُ وقد علم العبدُ أنَّ اللهَ -تبارك وتعالى- خلقهم؟! قال الخليلُ إبراهيمُ: {قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦)} [سورة الصافات]، فلا شكَّ أنَّ مَن يعبدُ غيرَ اللهِ مع علمِهِ أنَّ الله -تبارك وتعالى- هو خالقُ ذلكَ المعبودِ؛ تبيَّن له بطلانُ عبادتِهِ غيرَ اللهِ -تبارك وتعالى-.

ثمَّ قال -رحمه الله تعالى-: "ودليلُ الملائكةِ قولُهُ تعالى: {وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا} [سورة آل عمران: ٨٠]"، ومعناهُ: أنَّ اللهَ -تبارك وتعالى- ينهاكُمْ أنْ تجعلوا الملائكةَ والأنبياءَ أربابًا مِن دونِ الله، وأربابٌ جمعُ ربٍّ، فلا يجوزُ أن يكونَ مَلَكٌ مِن الملائكةِ ولا نبيٌّ مرسلٌ شريكًا لله -تبارك وتعالى-؛ فإنَّا أُمِرْنَا في حقِّ الملائكةِ الكرامِ ورسلِ الله -صلوات ربي وسلامه عليهم- أن نُنْزِلَهُمْ منزلتَهُمْ، وأنْ نُقِرَّ لهُمْ بما أقرَّهُ اللهُ لهُمْ، وأن نُفضِّلَ بعضَهُمْ على بعضٍ كما فضَّل اللهُ بعضَهُمْ على بعضٍ، ولا نزيدَ في ذلكَ ولا نغلوَ فيهِمْ، ولا نفرِّطَ في حقِّهِمْ، فنقولَ: هُمْ عبادٌ لله كما أنَّهُمْ رسلٌ كرامٌ أرسلهُمُ الله.

"ودليلُ الأنبياءِ قولُهُ تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦)} [سورة المائدة]".

فإنَّ اللهَ -تبارك وتعالى- بيَّن في هذهِ الآية -كما في الآيةِ السَّابقةِ- أنَّ رُسُلَهُ وأنبياءَهُ وإنْ كانوا قد فُضِّلُوا على سائرِ النَّاسِ ومُيِّزُوا عنِ الخليقة؛ إلَّا أنَّه لا ينبغي لنا أن نتجاوزَ حدودَنا فيهم، فنجعلَهُمْ للهِ شركاءَ، وحتَّى وإنْ كانوا مِن أولي العزمِ مِن الرُّسل، وحتَّى وإنْ كان مِن أفضلِهِمْ وأعظمِهِمْ، وهو نبيُّنا ﷺ؛ قال -عليه الصلاة والسلام-: (لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ)[٩]، فلا يحملكُمْ

---
[٩] رواه البخاري.

إثباتُ النُّبوَّةِ لَهُ أن تجاوزوا الحدَّ فتنْسَوا أنَّه عبدٌ؛ ولذلك قرن النبيُّ ﷺ نبوَّتَهُ بعبوديَّتِه؛ حتَّى يتوسَّطَ العبدُ في حقِّه، ويُنْزِلَهُ منزلتَهُ.

"ودليلُ الصَّالحينَ -أي: والدَّليلُ على أنَّ مِن القومِ المشركينَ مَن يعبدونَ الصَّالحين- قولُهُ تعالى: {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ} -أيِ الَّذينَ يدعوهُمُ المشركون- {يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ} [سورة الإسراء: ٥٧]"، أي: أولئكَ الَّذينَ يدعوهُمُ المشركونَ، ويلجأونَ إليهِمْ، ويصرفونَ إليهِمُ العبادةَ؛ هُمْ عبادٌ لله مثلكُمْ، فلمَ لا تكونوا على حالِهِمْ؟! ولا تكونوا مجتهدينَ كاجتهادهم؟! فكيفَ تعبدونَ مَن كان فقيرًا إلى الله؟! فإنَّهُ الأولى بكُمْ أن تعبدوا الغنيَّ الَّذي كلُّ الخلقِ فقراءُ إليه.

أمَّا دليلُ الأحجارِ والأشجارِ؛ فقولُهُ تعالى: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (٢٠)} [سورة النجم]، وهذه أصنامٌ كانتْ تُعبَدُ في جزيرةِ العرب، وهي مِنْ أشهرِ الأصنام: اللَّاتُ والعزَّى ومناةُ، ومَا كانتْ هذهِ عظيمةً إلا بتزييفِ المشركينَ مِن مكَّةَ والطَّائفِ على النَّاسِ فيها، وجعلِ عبادتِهَا مِن عبادةِ الله -تبارك وتعالى- ودنوِّهَا مِن الكعبةِ تعظيمًا وتلبيسًا على النَّاس.

فهؤلاءِ جميعُهُمْ ما فرَّق بينهُمْ رسولُ الله ﷺ؛ فإنَّك إذا علمتَ ذلك -أخي في الله-؛ فاعلمْ أنَّ حقيقةَ الشِّركِ واحدةٌ وإنْ تعدَّدتْ صُوَرُه، وأنَّ مِلَلَهُ كثيرةٌ، أمَّا هُمْ عندَ اللهِ -تبارك وتعالى-؛ فحكمهُمُ القتالُ، حتَّى يكونَ الأمرُ لله -تبارك وتعالى- والدِّينُ كلُّهُ له -جل في علاه-.

فهذا ما تيسَّر إيرادُهُ وتهيَّأ إعدادُه، أسألُ اللهَ -تبارك وتعالى- لنا ولكُمُ القبولَ، وأن يجعلَ كلامَنا في الصُّدورِ محفوظًا، وبالجوارحِ معمولًا به، وأن يُورِثَنَا خشيتَهُ -جل في علاه-.

هذا، واللهُ أعلمُ، وصلَّى اللهُ على نبيِّنا الأكرم، وعلى آلِهِ وصحبِهِ وسلَّم، والسَّلامُ عليكُمْ ورحمةُ الله.





# الدرس الخامس (القاعدة الرابعة)

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِهِ محمَّدٍ الإمامِ الأمين، وعلى آلِهِ وأصحابِهِ وأزواجِه، وعلى مَنِ اقتفى أثَرَهُ وسارَ على نهجِهِ إلى يومِ الدِّين؛ وبعد:

أيُّها المباركون؛ فهذا درسُنا هو آخرُ دروسِ توضيحِنا لمسائلِ القواعدِ الأربعِ، نتناولُ فيه -إن شاء الله تعالى- المسائلَ المستفادةَ مِن القاعدةِ الرَّابعة، فأسألُ اللهَ لنا ولكُمُ التَّوفيقَ قولًا وسماعًا، فنقولُ -وبالله نستعينُ-:

قالَ المصنِّفُ -رحمه الله تعالى- الإمامُ محمَّدُ بنُ عبدِ الوهَّاب: **"القاعدةُ الرَّابعةُ: أنَّ مشركي زمانِنا أغلظُ شركًا مِن الأوَّلين؛ لأنَّ الأوَّلينَ يشركونَ في الرَّخاءِ ويُخْلِصُونَ في الشِّدَّة، ومشركو زمانِنا شركُهُمْ دائمٌ في الرَّخاءِ والشِّدَّة، والدَّليلُ قولُهُ تعالى: {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} [سورة العنكبوت: ٦٥]".**

فهذهِ إذًا -أيُّها السَّامع- هي القاعدةُ الرَّابعةُ مِن قواعدِ هذهِ الرِّسالة، أراد أن يبيِّنَ فيها الإمامُ محمَّدُ بنُ عبدِ الوهَّاب -رحمه الله تعالى- أنَّ مشركي زمانِهِ مِنَ الَّذينَ يشركونَ مع اللهِ غيرَهُ مِنَ الأولياءِ وأصحابِ القبورِ وأهلِ القبابِ وغيرِهِمْ ممَّن يشركونَهُمْ مع الله -تبارك وتعالى- في الرَّخاءِ والشِّدَّة؛ هُمْ أحقُّ بالتَّكفير، وأحقُّ بالقتال، وأحقُّ بالبراءةِ منهُمْ مِنَ المشركينَ الأوَّلين؛ فإنَّ نصوصَ الكتابِ والسُّنة وإنْ كانتْ أرادتْ في المقامِ الأوَّلِ مخاطبةَ المشركينَ الأوَّلينَ وتكفيرَهُمْ والأمرَ بمعاداتِهِمْ؛ فإنَّ مَن كانوا أغلظَ شركًا منهُمْ -مِن بابِ أولى- يشملُهُمُ الخطابُ ويعمُّهُمُ النَّصُّ وحكمُه.

فالإمامُ محمَّدُ بنُ عبدِ الوهَّاب -رحمه الله تعالى- لمَّا أوضح أنَّ مشركي زمانِهِ أغلظُ شركًا مِنَ الأوَّلين؛ أراد أن يبيِّنَ أنَّ العبدَ إنْ كانَ لا يرتابُ في المشركينَ الأوَّلين؛ لأنَّ

النُّصوصَ واضحةٌ في الحكمِ عليهم؛ فكذلكَ مِن بابِ أولى أن لا يرتابَ في مشركي زمانِهِ مِنَ الذينَ اجتهدوا في عبادةِ غيرِ اللهِ سواءً في الرَّخاءِ أو الشِّدَّة.

بلْ إنَّ أولئكَ -يعني مشركي زمنِ الإمامِ محمَّدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ رحمه الله تعالى- يكونُ اجتهادُهُمْ في الشِّدَّةِ أعظمَ مِنِ اجتهادِهِمْ في الرَّخاء؛ وذلك لأنَّهم يرونَ أنفسَهُمْ في أمسِّ الحاجةِ إلى معبوداتِهِمْ إذا مسَّهُمُ الضَّر، وإذا أصابهُمْ سوءٌ، أو نزلتْ بهِمْ فاقةٌ أو مصيبةٌ، على خلافِ حالِ مشركي زمنِ النبيِّ -عليه الصلاة والسلام-؛ فإنَّ أولئكَ وإنْ كانوا مشركينَ كفَّارًا؛ إلَّا أنهم كانوا يؤمنونَ أنَّ الله -تبارك وتعالى- هو الَّذي يكشفُ الضُّر.

قالَ -جل جلاله-: {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ} [سورة الإسراء: ٦٧] أي: عرفتُمْ ضلالَ آلهتِكُمْ ومعبوداتِكُمْ، وأنَّها لا تنفعُكُمْ ولا تضرُّكُمْ، وقالَ اللهُ تعالى: {قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٣) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ (٦٤)} [سورة الأنعام]، وقال -جل جلاله-: {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} [سورة العنكبوت: ٦٥].

أمَّا مشركو ذاكَ الزَّمن، زمنِ الإمامِ محمَّدِ بنِ عبدِ الوهَّاب؛ فلمَّا كانوا يدَّعونَ لآلهتِهِمْ كشفَ الضُّر؛ كانوا أشدَّ لجوءًا إليهم، وأعظمَ استمساكًا بعبادتِهِمْ في حالِ الشِّدَّةِ منهُ في حالِ الرَّخاء.

وإنَّ للمسلمِ أن يعتبرَ كيف صارَ النَّاسُ أغلظَ شركًا مِن أولئكَ الَّذينَ قاتلهُمْ رسولُ الله -عليه الصلاة والسلام-. فلا تعجبنَّ لمثلِ ذلك؛ فقد جاءَ في الحديثِ الصَّحيحِ الَّذي رواهُ الإمامُ البخاريُّ عنِ الزُّبيرِ بن عديٍّ قال: أتينا أنسَ بنَ مالكٍ فشَكَونَا إليه مَا يلقونَ مِن الحجَّاج، فقالَ -رضي الله عنه-: "اصبروا؛ فإنَّه لا يأتي عليكُمْ زمانٌ إلَّا والَّذي بعدَهُ شرٌّ منه، حتَّى تلقوا ربَّكُمْ، سمعتُهُ مِن نبيِّكُمْ -عليه الصلاة والسلام-".





فإنْ كانَ المشركونَ الَّذينَ زمنَ الإمامِ محمَّدِ بنِ عبد الوهَّابِ أغلظَ شركًا مِنَ الأوَّلين - كما هو ظاهرٌ بيِّنٌ لك-؛ فكيفَ لو رأى الإمامُ -رحمه الله تعالى- حالَ المشركينَ زمانَنا؟! لكانَ أنْ يقولَ: إنَّ مشركي زمانِكُمْ أغلظُ شركًا مِن مشركي زمانِنَا، وإنَّ مشركي زمانِهِ أغلظُ شركًا مِن مشركي زمنِ النبيِّ -عليه الصلاة والسلام-.

فإذا عرفتَ ذلك أخي في الله؛ فإنَّ مشركي زمانِنَا صاروا أغلظَ شركًا مِن السَّابقينَ السَّالفين؛ لأنهُمْ أضافوا إلى عبادتِهِمْ غيرَ اللهِ -تبارك وتعالى- تحكيمَهُمْ غيرَ شريعتِهِ وابتغاءَهُمْ غيرَ دينِهِ منهجًا للحياة، واتِّباعَهُمْ لغيرِ الكتابِ والسُّنة، وتحاكمَهُمْ إلى القوانينِ الوضعيَّة، ولا شكَّ أنَّ هذا الحالَ وهذا الأمرَ غلَّظ مِنْ شركِهِمْ وكفرِهِمْ، فجعلهُمْ أعظمَ كفرًا وشركًا مِنْ غيرِهِمْ ممَّن سبقهم.

فإذا تبيَّن لكَ ذلك -أخي في الله- وعرفتَهُ؛ فلا ترتابنَّ في مشركٍ عَبَدَ غيرَ اللهِ وإنِ استمسكَ بما استمسكَ بِهِ مِن الأدلَّةِ والبراهين، وإنْ سعى في ليِّ أعناقِ النُّصوص؛ فإنَّهُ مَا لمشركٍ حجَّةٌ، ولا لمشركٍ بيِّنَةٌ.

فإنْ كانَ المشركونَ الأوَّلونَ الَّذينَ هم أخفُّ شركًا مِن مشركي زمانِنَا لم يبقَ لهم حجَّةٌ، ولم يَدفَعْ نصوصَ الكتابِ والسُّنَّةِ إلَّا معاندٌ منهُمْ؛ فما ظنُّك بحالِ المشركينَ اليوم؟! فإنَّ نصوصَ الكتابِ والسُّنةِ أوضحُ في بيانِ حكمِهِمْ، وآكدُ في تكفيرِهِمْ والأمرِ بالبراءةِ منهُمْ، فعليك -أخي في الله- بأصلِ دينِكَ، فاستمسكْ بالعروةِ الوُثقَى، واعرفِ الشِّركَ وأهلَهُ، واعرفِ التَّوحيدَ وأهلَه؛ فإنَّ ذلكَ بِهِ نجاتُك، وبِهِ فلاحُك، وعليه تُعَلَّقُ سعادتُك أو شقاؤك.

فكنْ على ملَّةِ الخليلِ إبراهيم، وصرِّحْ بكفركَ بجميعِ المعبوداتِ مِن دونِ اللهِ وإنِ اختلفتْ صُوَرُهَا، وإنْ تنكَّرتْ بزيٍّ آخرَ في زمانِنا؛ فكلُّهُمْ كفَّارٌ وكلُّهُمْ مشركون، لمَّا صَرَفُوا العبادةَ لغيرِ الله -تبارك وتعالى- وارتضوا غيرَهُ حاكمًا ومشرِّعًا.





فهذهِ -أخي في الله- خلاصةُ أهمِّ المسائلِ الَّتي تعرفُها مِن خلالِ هذهِ القواعدِ الأربع، والَّتي أسألُ اللهَ بأحبِّ أسمائِهِ إليه أن يُبصِّرنَا بها، وأن نعملَ بها في واقعِنَا، وأنْ نجاهدَ في سبيلِ تحقيقِهَا وتأصيلِهَا في قلوبِ النَّاس.

سبحانكَ اللَّهمَّ وبحمدك، نشهدُ أن لا إله إلَّا أنت، نستغفرُكَ ونتوبُ إليك، والسَّلامُ عليكُمْ ورحمةُ الله وبركاتُه.





# نهاية كل درس

كنتُمْ معَ سلسلةٍ في شرحِ القواعدِ الأربعِ.

# لا تنسوا إخوانكم من الدعاء




صرح الخلافة